منتدى الباحثين في علم النفس وعلم الاجتماع بالمغرب FRPSM

منتدى الباحثين في علم النفس وعلم الاجتماع بالمغرب
Forum researchers of psychology and sociology in Morocco

مجلة ارتقاء للدراسات النفسية والاجتماعية.

مجلة ارتقاء للدراسات النفسية والاجتماعية
Revue irtikae des études psychologiques et sociales

تصدر باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية.
متخصصة في علم النفس وعلم الاجتماع وما يتقاطع معهما من تخصصات.

العدد الثالث غشت 2025.

الإيداع القانوني ISSN 4814-3085
ملف الصحافة 2024/36 ص.

مجلة ارتقاء مجلة علمية محكّمة دولية. دورية تصدر كل أربعة أشهر، غير ربحية، متخصصة في علم النفس وعلم الاجتماع وما يتقاطع معها من تخصصات علمية. منفتحة على ما يخدمها من علوم ومعارف.

تسعى مجلة ارتقاء لربط علم النفس وعلم الاجتماع مع التخصصات التي تتقاطع معها على أرضية مبدأ تكامل المعرفة، كما تسعى لتوجيه البحث العلمي نحو النظر في مكانة علم النفس وعلم الاجتماع في الواقع المعيش للناس، وما يمكن أن تقدّمه الأبحاث والدراسات السيكولوجية والسوسيولوجية لخدمة مجتمعاتنا العربية، ومواكبة التغيرات السيكو-سوسيولوجية فيها.

مجلة ارتقاء للدراسات النفسية والاجتماعية فضاء علمي مفتوح على:
علم النفس - علم الاجتماع - التخصصات العلمية المتقاطعة معهما.

Irtikae Journal is an open Scientific Space to :
Psychology – Sociology – Intersecting scientific disciplines.

معتمدة من طرف :
منتدى الباحثين في علم النفس وعلم الاجتماع بالمغرب.

Forum of Researchers in

Psychology and Sociology in Morocco (FRPSM).

Web site : https://www.irtikaefrpsm.com/

رؤية المجلة:
الريادة في نشر الأبحاث العلمية المحكمة ذات التخصص السيكولوجي أو السوسيولوجي، والوصول بالمجلة إلى أن تصنف ضمن أجود الدوريات العالمية في علم النفس وعلم الاجتماع.

رقم الإيداع القانوني: ISSN: 4814-3085
ملف الصحافة رقم: 2024/36 ص.
العدد الثالث: غشت 2025.

هيئة التحرير:

المشرف العام ومدير النشر: د .يسين العمري.

رئيس هيئة التحرير: عماد العروجي.

سكرتيرة التحرير: لبنى أبو الهلال.

الشؤون التقنية والأنفوغرافيا : أمال حباشة.

التواصل والنشر والعلاقات الخارجية: عائشة أبو العسل.

اللجنة العلمية:

أ.د عبد العزيز عليوي (المغرب).

أ.د محمد التومي (المغرب).

أ.د مخلص السبتي (المغرب).

أ.دة مديحة المسعودي (المغرب).

أ. دة نزهة بوعياد (المغرب).

أ.د. عبد الجبار لند (المغرب).

أ.دة رشيدة المرابط (المغرب).

أ.دة بشرى الذهبي (المغرب).

أ.د أيوب لطفي (المغرب).

أ.د جمال كسيكسو (المغرب).

أ.د محمد جودات (المغرب).

أ.د فاخر الخليلي (فلسطين).

أ.د محمد أو الطاهر (المغرب).

أ.دة إيمان النبيلي (المغرب).

أ.د عباس مزهر (لبنان).

أ. د دنيز ميشال الغول (لبنان).

أ.د زهرة ثابت (تونس).

أ. الأزهاري الداودي محمد (المغرب).

د. نوح رابي (المغرب).

د. ياسر بلهيبة (المغرب).

د. نبيل صافي (المغرب).

دة. عفاف ربيع عبد الكريم (فلسطين).

دة. دنيا ياسر صادق (مصر).

دة. هاجر أحمد سامي (مصر).

د. محمد مديح عمري (لبنان).

دة. رلى فرحات كامل (لبنان).

د. عبد الرحمان اليعقوبي (المغرب).

د. يونس عتيق الله (المغرب).

دة. خديجة مستعد (المغرب).

د. يسين العمري (المغرب).

الهيئة الاستشارية بالمجلة:

المستشارة الإدارية والمالية: حكيمة توفيق.

المستشارة الإعلامية: سناء البوعزاوي.

المستشارة القانونية: دنيا الناصري.

المستشارة الثقافية: أميمة بونخلة.

المستشار النفسي والتربوي: نور الدين جوهرة.

المستشار الاجتماعي والجمعوي: حمزة الكنافي.

المستشارة الحقوقية: أميمة القويري.

ISSN: 3085-4814

ملف العدد:

الأطفال المتخلى عنهم.

محاور العدد:

1. ظاهرة الأطفال المتخلى عنهم من الناحية السوسيولوجية.
2. ظاهرة جنوح الأطفال المتخلى عنهم: الأسباب والنتائج وسبل التصدي.
3. الصحة النفسية للأطفال المتخلى عنهم، وإمكانية تأطيرهم وإعادة إدماجهم في المجتمع عبر تقديم الدعم النفسي والمساندة الاجتماعية لهم.
4. التمثلات الاجتماعية عن الأطفال المتخلى عنهم وأثرها النفسي عليهم.

الفهرس:

- افتتاحية مدير النشر. 7
- تقديم ملف العدد من طرف الباحثة مريم فواز (لبنان): المرافقة النفسية للأطفال المتخلى عنهم: بين الألم الصامت وفرص التعافي. 8
- التحرش الجنسي لدى أطفال الشوارع في لبنان: دراسة اجتماعية نفسية. 11
- الآثار النفسية للحروب على الأطفال في محافظة نينوى (العراق). 39
- الهشاشة النفسية والاجتماعية وتأثيرهما على ظاهرة جنوح الأطفال المتخلى عنهم: دراسة نفسية اجتماعية. 58
- دور الرعاية الاجتماعية في النهوض بوضعية الأطفال المتخلى عنهم وفي تحقيق الأمن الاجتماعي. 66
- ضيف العدد (ذ. سعيد أرديف): ذكاء اللغة والخطاب ودهاء الإيديولوجيا في الانتقال من حوار الثقافات إلى أطروحة الصراع والهيمنة الثقافية. 78

- التعريف بالمجلة، أهدافها وشروط النشر بها. 96

ISSN: 3085-4814

افتتاحية:

د. يسين العمري.

بسم الله الرحمان الرحيم، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد بن عبد الله، خير ولد آدم أجمعين، وعلى آله وصحبه الط يبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إنّه لمن دواعي الفخر أن نعلن صدور العدد الثالث لمجلتنا العلمية المحكمة ارتقاء، التي تحاول تكريس الثقافة السيكولوجية والسوسيولوجية بمجتمع البحث العلمي سواء بالمغرب أو خارجه، وها هو ذا العدد الثاني بين أيدينا كنتيجة لمساهمات عدّة دكاترة وباحثين. وكل أملنا أن يوفّقنا المولى عز وجلّ في أن نتوفّق في ترك بصمتنا في المشهد العلمي والبحثي المغربي والعربي في مجالات تخصصنا، ونترك علما ينتفع به لم عشر الطلبة والباحثين والأساتذة ، مؤمنين بالآية الكريمة : " يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم".

ارتأت المجلة بكل هيئاتها (التحريرية والعلمية و الاستشارية)، في العدد الثالث للمجلة، أن نتطرّق لموضوع فيه عنصرا الجِدّة والراهنية، فتقرّر أن يكون محور العدد أحد أخطر آفات العصر: "ظاهرة الأطفال المتخلى عنهم". وقد قرّرنا في هذا العدد أيضاً أن يكون لنا ضيف... الخ، وضيفنا في هذا العدد الثالث هو الأستاذ الدكتور سعيد أرديف بالاشتراك مع الطالبة الباحثة فتيحة سحيمي، وكلاهما ينتميان لجامعة محمد الأول بوجدة عاصمة شرق المملكة المغربية ، ويتطرّق لموضوع لا يندرج ضمن ملف العدد، إلا أنّه لا يقلّ عنه أهمية، إذ يحتلّ مكانة رائدة في الفكر الإنساني المعاصر.

وأخيراً، فقد جاء هذا العدد نتيجة عمل معتبر ومقدّر لمجموعة من الكفاءات المغربية، منهم الإخوة والأخوات أعضاء هيئة التحرير الذين بذلوا من جهودهم وأوقاتهم، ومنهم أعضاء اللجنة العلمية الذين نقدر إضافاتهم النوعية ونشكرهم على تحكيمهم للأوراق العلمية، و نصائحهم القيمة، وتقاسم خبر اتهم الكبيرة معنا، وتشريفهم لنا بالانضمام إلى هذه العائلة الفكرية والبحثية ، سواء منهم من انضمّوا قبل أو بعد عملية التحكيم ، فقد أبلى الجميع مشكورين البلاء الحسن، لتكون النتيجة هذا العدد الذي نأمل أن يكون دعوة للتأمل والبحث والتحليل والنقد في مادته العلمية.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

الدار البيضاء يوم الاثنين 25 غشت 2025.

تقديم ملف العدد:

المرافقة النفسية للأطفال المتخلى عنهم: بين الألم الصامت وفرص التعافي.

الباحثة مريم فواز – لبنان.

Psychological Support for Abandoned Children: Between Silent Pain and Paths to healing.

لا شكّ أن الطفولة هي المرحلة التأسيسية التي تبنى عليها شخصية الإنسان لاحقًا، وتتأثر بشكل مباشر بنوعية العلاقات الأولية التي يخوضها الطفل مع محيطه، ولا سيما أسرته . ولكن، ماذا يحدث حين يُحرم الطفل من هذا الحصن الأول؟ يعيش الأطفال المتخلى عنهم واقعًا نفسيًا معقّدًا، تبدأ آثاره في الظهور مبكرًا، ولا تتوقف إلا بتدخلات علاجية ممنهجة . وقد لامست من خلال تجربتي الميدانية مع بعض الأطفال في مؤسسات الرعاية، كيف يظهر الألم النفسي في ن ظراتهم وسلوكهم، حتى دون كلمات. يهدف هذا التقديم إلى تسليط الضوء على المشكلات النفسية الأكثر شيوعًا لدى هذه الفئة، وتقديم المرافقة النفسية كأداة إنسانية وعلاجية فعالة تساهم في إعادة بناء التوازن النفسي لهؤلاء الأطفال.

أولًا: المشكلات النفسية الشائعة لدى الأطفال المتخلى عنهم:

- **اضطرابات التعلق:**

تُعد اضطرابات التعلق من أخطر نتائج غياب الرعاية الأبوية في السنوات الأولى من الحياة . فبحسب نظرية التعلق التي طورها "جون بولبي"، يحتاج الطفل إلى علاقة ثابتة وآمنة مع مقدم رعاية ليطور مشاعر الأمان والثقة. أما في حالات التخلي، تتكسر هذه الثقة الأولى، ما يؤدي إلى ظهور أنماط تعلق مرضية، كالتعلق القلق أو التجنبي، وقد تترسخ لاحقًا في اضطرابات بالشخصية والعلاقات الاجتماعية.

- **تدني احترام الذات والشعور بالذنب:**

كثيرًا ما يعتقد الأطفال الذين تم التخلي عنهم أنهم مذنبون أو غير مستحقين للحب، ويقارنون أنفسهم بأقرانهم داخل المؤسسة أو خارج ها. هذه الأفكار تنعكس على سلوكياتهم اليومية، فيُظهر البعض ميلًا للانسحاب، بينما يتصرف آخرون بعدوانية كرد فعل على شعورهم بالرفض والإقصاء.

- **الاكتئاب والقلق:**

تشير دراسات متعددة إلى ارتفاع نسب اضطرابات المزاج لدى الأطفال المتخلى عنهم، خصوصًا الاكتئاب والقلق المزمن. وتتجلى الأعراض غالبًا في شكل نوبات بكاء متكررة، فقدان الحافز، كوابيس

ليلية، أو توتر دائم . وقد يُساء تفسير هذه الحالات على أنها "سوء تصرف" بدلاً من إدراك جذورها النفسية العميقة.

- **اضطرابات السلوك والتكيف:**

يُظهر العديد من الأطفال سلوكيات غير تكيفية كالكذب ، السرقة، الهروب، أو الانعزال التام . وفي إحدى الحالات التي تابعتها، كان طفل في العاشرة يسرق باستمرار من زملائه، وبعد جلسات دعم نفسي، تبين أن السلوك كان تعبيرًا غير مباشر عن خوفه من الفقد ونقص الثقة بمن حوله.

ثانيًا: المرافقة النفسية كأداة علاجية داعمة:

المرافقة النفسية هي علاقة علاجية مستمرة تقوم على التواجد الوجداني والاحتواء العاطفي، وتهدف إلى مساعدة الطفل على فهم ذاته والتعامل مع تجاربه المؤلمة بطريقة صحية . وتختلف المرافقة عن العلاج التقليدي في كونها تركّز على السير بجانب الطفل في رحلته، دون إصدار أحكام أو فرض حلول جاهزة.

- ✓ **بناء علاقة آمنة:**

الخطوة الأولى تبدأ ببناء علاقة تحتوي على الثقة، الصبر، والاحترام . ويجب أن يشعر الطفل بأن المرافِق شخص يمكن الاعتماد عليه، يراه ويصغي له، حتى عندما لا يُحسن التعبير بالكلمات.

- ✓ **التعبير عن المشاعر عبر الوسائط الإبداعية**

من خلال أدوات مثل الرسم، اللعب، والتمثيل، يُتاح للطفل التعبير عن مشاعره المكبوتة التي يصعب الإفصاح عنها لفظيًا. ففي إحدى الجلسات، رسم طفل بيتًا مكسور السقف كتب عليه "ماما ما رجعت"، ما عبّر عن حنينه لوالدته التي تركته وهو رضيع.

- ✓ **إعادة بناء الثقة بالنفس:**

بمرور الوقت، تبدأ الجلسات في مساعدة الطفل على رؤية نفسه بصورة إيجابية، والتخلي عن أفكار الذنب والدونية. ويتم تدريجيًا تدريبه على مهارات الحياة، مثل حل المشكلات، التعبير عن الرأي، وإقامة علاقات آمنة.

- ✓ **العمل مع المحيط:**

لا تنجح المرافقة النفسية في فراغ، بل يجب أن تكون مدعومة بتعاون بين الاختصاصي، إدارة المؤسسة، المربية/الأم البديلة، وحتى في بعض الحالات مع الزملاء أو الأخصائيين التربويين . فالبيئة الحاضنة لها دور كبير في دعم نتائج المرافقة وتحقيق استمراريتها.

ثالثًا: توصيات عملية:

1. **إدماج برامج المرافقة النفسية داخل مؤسسات الرعاية بشكل دائم ومنهجي.**
2. **تدريب الطاقم التربوي على أساسيات الدعم النفسي والتعامل مع آثار الصدمات.**
3. **إتاحة جلسات فردية وجماعية أسبوعية للأطفال تحت إشراف اختصاصيين نفسيين.**
4. **استخدام الفنون التعبيرية كأداة أساسية في العلاج النفسي لهذه الفئة.**
5. **تتبع نفسي طويل الأمد للأطفال بعد مغادرتهم المؤسسة لضمان الدعم المستمر.**

ختاماً، فللأطفال المتخلى عنهم ليسوا "حالات ميؤوس منها" كما قد يُظن أحيانًا، بل هم أرواح صغيرة تحمل جراحًا عميقة لكنها أيضًا قادرة على التعافي والنمو متى ما توفر لها الأمان والدعم المناسب . والمرافقة النفسية، حين تُمارس بصدق وتفهم، قادرة على أن تكون جسرًا يعيد لهؤلاء الأطفال ثقتهم بأنفسهم وبالعالم من حولهم . إنهم يستحقون أكثر من رعاية مؤسسية ... يستحقون حضنًا إنسانيًا يرى فيهم طفولة كان يمكن أن تكون أكثر دفئًا.

- **المصادر:**

Bowlby, J. (1988). *A Secure Base: Parent-Child Attachment and Healthy Human. Development. Basic Books*

ISSN: 3085-4814

"التحرش الجنسي لدى أطفال الشوارع المتسولين في لبنان: دراسة اجتماعية نفسية".

رُلى كامل فرحات.

استشارية نفسية – إجتماعية.

رئيسة مركز علم النفس للنخبة.

دراسات عليا في علم النفس – الجامعة اللبنانية.

"Sexual Harassment among Street Children Begging in Lebanon: A Socio-Psychological Study".

Rola Kamel Farhat.

Psychological and Social Consultant.

Head of the Elite Psychology Center.

Graduate Studies in Psychology - Lebanese University.

ملخص الدراسة:

تُسلّط هذه الدراسة الضوء على أطفال الشوارع المتسولين في لبنان وهم فئة شديدة التهميش، يعيشون خارج إطار الرعاية والحماية، ويُجبرون يوميًا على مواجهة أشكال متعددة من العنف النفسي والجسدي، وعلى رأسها ظاهرة التحرش الجنسي . في ظل الانهيار الاقتصادي والا جتماعي والأمني الذي يعصف بالبلاد، تفاقمت أوضاع هؤلاء الأطفال، فأصبحوا عرضة دائمة للاستغلال، لا سيما داخل شبكات تسوّل عنكبوتية منظمة، ودوائر عمالة غير قانونية ومهينة.

تكمن أهمية هذه الدراسة في كسر حاجز الصمت المجتمعي حيال هذه الظاهرة، التي غالبًا ما يُخشى التطرق إليها بسبب القيود الثقافية والاجتماعية، أو الخوف من انتقام العصابات المستفيدة، بل أحيانًا يلعب التواطؤ الأمني (الشرطة) دورًا بارزًا في ذلك . لا تُعنى الدراسة فقط بكشف حجم الانتهاك، بل تهدف أيضًا إلى تحليل العوامل النفسية والاجتماعية المساهمة في انتشا ر التحرش الجنسي ضد أطفال الشوارع، وتوثيق تبعاته النفسية والاجتماعية، سواء على المدى القريب أو البعيد.

كما تسعى هذه الدراسة إلى تزويد المؤسسات الاجتماعية، التربوية، والقانونية بتوصيات عملية تصلح للاستخدام في تطوير السياسات الوقائية والعلاجية، والمساهمة في إعداد برامج حماية واقعية ميدانية بعيدًا عن الطروحات النظرية المجردة . كذلك تفتح الباب أمام أبحاث مستقبلية تستكشف العلاقة بين الفقر، التحرش، العنف الجنسي، والاضطرابات النفسية في الطفولة، وتأثيرها في تكوين الأجيال القادمة.

الكلمات المفتاحية: الطفل – التسول – التحرش الجنسي – الاضطراب النفسي– العنف الجنسي.

Abstract:

This study sheds light on the situation of street children who beg in Lebanon—a severely marginalized group living beyond the bounds of care and protection. These children are forced daily to endure various forms of psychological and physical violence, with sexual harassment standing as one of the most egregious violations they face. Amid Lebanon's ongoing economic, social, and security collapse, their conditions have dramatically worsened, leaving them perpetually vulnerable to exploitation, particularly within well-organized spiderweb-like begging networks and degrading, illegal labor circles.

The study breaks the societal silence that often surrounds this issue, a silence rooted in cultural taboos, fear of gang retaliation, and in some cases, the complicity of law enforcement. Rather than simply documenting abuse, the research delves into the psychological and social causes that fuel sexual harassment against these children, while also examining its devastating short- and long-term impacts.

Importantly, the study offers practical recommendations for social, educational, and legal institutions. It calls for actionable, field-based policies and protection programs to replace abstract theoretical models. By doing so, it lays the groundwork for future research on the complex interplay between poverty, violence, and childhood trauma—and how these forces shape generations to come.

Keywords: child – begging – sexual harassment – psychological disorder – sexual violence.

المقدمة:

تختلف الأزمات الاجتماعية والاقتصادية التي يُعاني منها لبنان، وهي في تزايد منذ سنوات . تظهر خلالها فئات هشة ومتروكة على هامش المجتمع، يأتي في مقدمتها أطفال الشوارع المتسولين، الذين باتوا عرضة يومية لشتى أشكال الانتهاك النفسي والجسدي، والعنف المجتمعي وعلى رأسها التحرش الجنسي.

هؤلاء الأطفال، المنفصلون قسراً عن أبسط حقوق الطفولة، لا يعيشون مرحلة طفولتهم كباقي الأطفال المحضونين برفاه الحياة إلى حد ما، فيكبرون في بيئة قاسية لا تحميهم من الاستغلال، بل في كثير من الأحيان تدفعهم نحوه وبقوة عبر شبكات تسول عنكبوتية منظمة وعمالة أطفال قذرة مفتوحة على أبواب عديدة.

تُعد ظاهرة التحرش الجنسي، على وجه التحديد، واحدة من أخطر ما يتعرض له هؤلاء الأطفال، لما لها من تبعات نفسية عميقة وآثار اجتماعية قصيرة وطويلة المدى.

هذا البحث يهدف إلى كشف أبعاد هذه الظاهرة وفهم جذورها النفسية والاجتماعية، مستندًا إلى نظريات ودراسات حديثة، وباعتماد أدوات بحثية تمكننا من مقاربة الظاهرة بمهنية وإنسانية معًا.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة بتسليط الضوء على فئة مهمشة من الأطفال الذين غالباً ما يُنظر إليهم كـ"متسولين" منبوذين تلفظهم الإنسانية المُقننة بدون الالتفات إلى حجم معاناتهم النفسية والاستغلال الذي يتعرضون له لا سيما الاستغلال الجنسي.

كذلك كسر حاجز الصمت حول موضوع التحرش الجنسي في الشارع، لكونه موضوعاً مسكوتًا عنه في المجتمعات العربية عامة، إذ يُعتبر من المواضيع المُحرّم الحديث عنه ، بل عادة ما يتعرض الشخص الذي يتناول هكذا موضوع بقطرٍ عريض إلى مُضايقات عديدة وتهديدات من العصابات المُشغلة لأولئك الأطفال، بل أحيانًا من أفراد متورطين في الشرطة. بالطبع أنا لا أتحدث عن لبنان فقط بل هذا قاسم مشترك في معظم المجتمعات.

من ناحية ثانية، تهدف هذ ه الدراسة إلى إمداد المؤسسات والمراكز الاجتماعية والتربوية والقانونية بنتائج قابلة للاستخدام العملي في برامج الرعاية والحماية وما يرتبط بها . كما للمساهمة في صياغة سياسات حماية قائمة على بيانات ميدانية حقيقية، لا افتراضات نظرية، حتى وإن كان في تحصيل تلك البيانات صعوبة شائكة.

بالإضافة إلىفتح المجال لبحوث مستقبلية أكثر عمقًا عن العلاقة بين الأزمات الاجتماعية والاقتصادية، الفقر،التحرش والعنف الجنسي، والاضطرابات النفسية في الطفولة وانعكاساتها على تنشئة جيلًا جديدًا تستشري فيه الاضطرابات النفسية المختلفة وتجتاحهم شتى أنواع العنف والاضطهاد.

قضية البحث وإشكاليته:

يُعاني أطفال الشوارع المتسولون في لبنان من تهميش متعدد الأبعاد، يجعلهم عرضة للاستغلال بكل أشكاله، وخاصة التحرش الجنسي، الذي يتم غالبًا في الخفاء أو تحت التهديد والتعنيف والتجويع.

تنعدم الحماية القانونية والا جتماعية لهؤلاء الأطفال، كما أنهم يفتقرون إلى أبسط حقوقهم في العيش، وإلى من يصغي لصوتهم أو يوثق ما يتعرضون له، ما يؤدي إلى تفاقم معاناتهم الاجتماعية والنفسية.

من هنا تنبثق **إشكالية البحث:**

إلى أي مدى يتعرض أطفال الشوارع المتسولين في لبنان للتحرش الجنسي، وما هي العوامل النفسية والاجتماعية التي تُسهم في تفشي هذه الظاهرة، وما آثارها عليهم؟

السؤال الرئيسي:

ما هي طبيعة وأبعاد التحرش الجنسي الذي يتعرض له أطفال الشوارع المتسولين في لبنان، وما العوامل المفسرة لهذه الظاهرة من منظور نفسي واجتماعي؟

الأسئلة الفرعية:

- ما الخصائص النفسية والاجتماعية العامة لأطفال الشوارع المتسولين في لبنان؟
- ما أنواع وأساليب التحرش الجنسي التي يتعرض لها هؤلاء الأطفال؟
- من هم الجناة المحتملون وما الأطر التي تسمح لهم بممارسة الانتهاك؟
- ما الآثار النفسية والاجتماعية قصيرة وطويلة الأمد الناتجة عن ا لتحرش الجنسي على هذه الفئة؟
- ما الاستراتيجيات والتدخلات الوقائية والعلاجية التي يمكن أن تحدّ من الظاهرة وتوفر الحماية والدعم لهؤلاء الأطفال؟

تعريف التحرش الجنسي:

وفق منهجية مكافحة "الانتهاك والاستغلال والتحرّش الجنسي (SEAH) "، تُعرّف المنظمة التحرّش الجنسي بأنه: "السلوك اللفظي أو الجسدي أو الإيمائي ذو الطبيعة الجنسية غير المرغوب فيه والذي قد يتسبب بإنشاء بيئة معادية أو مخيفة أو مسيئة أو مهينة."

لا يوجد تعريف مباشر لمصطلح "التحرّش الجنسي" في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسيةDSM-5 ، لكنه يُدرج ضمن إ طار الاضطرابات النفسية المتعلقة بالتروما، إذ يُصنف ضمن محفزات تؤدي إلى القلق، الاكتئاب، واضطراب ما بعد الصدمة، عند التعرّض له - بدنيًا أو نفسيًا - بشكل متكرر أو عنيف.

القانون اللبناني (قانون رقم 2020/205)، يعتمد تعريفًا قانونيًا يشمل:

"أي سلوك متكرر غير مع تاد أو غير مرغوب فيه من قبل الضحية، ذو دلالة جنسية تمثّل انتهاكًا للجسد أو الخصوصية أو المشاعر" سواء عبر الكلام أو الأفعال أو الإشارة أو الوسائل الإلكترونية، أو استخدام أي ضغط نفسي/معنوي/مالي للحصول على منفعة جنسية .

عرف عالم الاجتما ع David Finkelhor الاعتداء الجنسي على الأطفال بمفهوم شامل وموثّق بأنه يشمل "طيف كامل من الجرائم والانتهاكات الجنسية التي يتعرّض لها الأطفال حتى سن السابعة عشرة"، من قبل الجناة سواء كانوا من الأقارب أو غرباء، ويشمل ذلك الأفعال التي قد لا تنطوي على اتصال جسدي مباشر، مثل العرّض أو التعرّي القسري أو استخدام الأطفال في التصوير الجنسي أو المواد الإباحية.

كما طوّر نموذجًا لتفسير تطور الاعتداء، يوضح أربعة شروط رئيسية تشمل وجود نية لدى الجاني، تجاوزاً للمعايير الداخلية، وفرصًا تتيح تنفيذ الاعتداء، وقدرة على التغلب على مقاومة الطفل.

عالمة النفس Sandra Schwartz Tangri ، قامت بأبحاث ملهمة حول التحرش في بيئة العمل، وعرّفته أول مرة في عام 1975 بـ":تقديمات جنسية غير مرغوب بها من قبل المشرفين أو الإدارة تجاه العاملات "

وتوسّعت في تحليل تأثيره على الصحة النفسية للنساء /الفتيات، بما في ذلك مشكلات القلق، الانطواء، وانخفاض الثقة بالنفس.

مُلخص للتعريفات:

المرجع	تعريف التحرّش الجنسي
WHO	سلوك غير مرغوب ذو طبيعة جنسية يخلق بيئة عدائية.
DSM-5	عامل نفسي مؤثر يؤدي إلى اضطرابات بعد التعرّض.
القانون اللبناني	سلوك متكرر، لفظي/جسدي/إلكتروني، ينتهك الجسد أو الخصوصية.
Finkelhor	"طيف كامل من الجرائم والانتهاكات الجنسية التي يتعرّض لها الأطفال حتى سن السابعة عشرة".
Tangri	تقديمات جنسية غير مرغوب بها تؤثر نفسيًا على الضحية.

أسباب ظاهرة التحرش الجنسي لدى أطفال الشوارع المتسولين:

البيئة الاجتماعية: انتشار الفقر، النزوح، ضعف مؤسسات الرعاية.

البيئة القانونية: غياب التشريعات الرادعة أو تطبيقها، وغياب آليات التبليغ الآمن.

الاستغلال الهرمي : حيث يُفرض على الطفل التسول والخضوع لأوامر مسؤوله، الذي قد يستغل جسده.

التطبيع مع العنف: رؤية الأطفال لآخرين يتعرضون للتحرش بدون عقاب.

نتائج التحرش الجنسي:

نفسية: اضطرابات نفسية حادة، قلق مزمن، اكتئاب، فقدان الثقة.

سلوكية: انسحاب اجتماعي أو انحراف سلوكي، تقليد المعتدي، سلوكيات جنسية غير مناسبة للعمر.

اجتماعية: عزلة، فقدان فرص التعليم، اضطراب في العلاقات الاجتماعية.

صحية: أمراض منقولة جنسيًا، أذى جسدي، وإهمال طبي.

1 -الاضطرابات النفسية التي يتعرض لها الطفل المتروك بالشارع بشكل عام والمتحرش به بشكل خاص:

- **اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD):**

يُعدّ من أكثر الاضطرابات شيوعًا لدى الأطفال المتروكين، حيث يعانون من ذكريات مؤلمة متكررة، كوابيس، ومشاعر خوف مستمرة، نتيجة العنف أو الإهمال أو الاعتداءات التي تعرضوا لها في الشارع. هذا الاضطراب قد يؤدي إلى انسحاب اجتماعي وعزلة.

- **الاكتئاب:**

غالبًا ما يظهر عند الأطفال شعور بالحزن العميق، فقدان الاهتمام بأي نشاط، ضعف في الشهية والنوم، بالإضافة إلى مشاعر اليأس التي قد تزداد مع ظروف العزلة والتهميش.

- **القلق العام واضطرابات الهلع:**

يعيش الطفل في حالة دائمة من التوتر والخوف، خاصة إذا تعرض لتحرش أو اعتداء، مما يجعل حياته مليئة بالشك وعدم الأمان، ويؤدي إلى نوبات ذعر متكررة وصعوبة في التركيز.

- **اضطرابات السلوك:**

بسبب ظروف الشارع و قلة الإشراف، قد يظهر لدى الطفل سلوك عدواني أو تمردي، وانتهاك للقوانين، مما يعكس محاولته التعبير عن ألمه الداخلي.

- **اضطرابات النوم:**

الأرق أو النوم المضطرب من علامات الاضطرابات النفسية عند الطفل المتروك، خاصة الذين يتعرضون لتحرش، حيث تستمر ذكريات الاعتداء في الظهور أثناء النوم.

2 -تأثير التحرش الجنسي على الاضطرابات النفسية

- **شعور العار والذنب:**

يتعرض الطفل المتحرش لهواجس نفسية قوية، حيث يشعر بالعار والذنب رغم أنه ضحية، ما يزيد من ضعف ثقته بنفسه ويجعل من الصعب عليه طلب المساعدة.

- **الخوف من تكرار الإعتداء:**

التحرش يولد حالة من الخوف الدائم من تكرار الاعتداء، مما يزيد من مشاعر القلق والهلع، ويحد من قدرة الطفل على التفاعل الطبيعي مع الآخرين.

- **مشاكل في العلاقات الاجتماعية:**

يفقد الطفل القدرة على بناء علاقات صحية مع أقرانه وأفراد المجتمع، ويتحول إلى الانطوائية أو حتى السلوك العدواني.

- **إدمان المخدرات أو السلوكيات الخطرة:**

كآلية دفاعية، قد يلجأ الطفل إلى تعاطي المخدرات أو الانخراط في سلوكيات محفوفة بالمخاطر للهروب من ألمه النفسي. ولا ننسى بالطبع إنغماسه بالانحرافات الجنسية والشاذة خاصة في ظل عصر الانترنت والمغريات الكثيرة التي قد يتعرض لها هذا الطفل وسهولة ذلك.

أولًا: المراجعة النظرية:

- **أهم النظريات النفسية والاجتماعية التي فسرت ظاهرة التحرش الجنسي:**

❖ **النظرية النفسية الديناميكية – سيغموند فرويد Sigmund Freud, 1905):**

النظرية النفسية الديناميكية لسيغموند فرويد (1905) تُعد حجر الأساس في علم النفس التحليلي، وقد أحدثت ثورة في فهم النفس البشرية عبر التركيز على اللاوعي، والدوافع الغريزية، والصراعات الداخلية التي تشكّل السلوك والشخصية . يرى فرويد أن السلوك الإنساني لا يُفسَّر فقط بالعوامل الظاهرة، بل تحرّكه قوى داخلية غير واعية تشكّلت منذ الطفولة المبكرة.

من أبرز ما نصّت عليه النظرية وتطرّقت إليه:

- النفس البشرية تتكون من ثلاث أنظمة:
- الهو :(Id) مركز الغرائز والرغبات اللاواعية،
- الأنا :(Ego) الوسيط العقلاني الذي يتعامل مع الواقع،
- الأنا الأعلى :(Superego) الضمير والمعايير الأخلاقية.

تنشأ الاضطرابات النفسية نتيجة الصراعات بين هذه الأنظمة الثلاثة، خاصة عندما تفشل الأنا في تحقيق التوازن. كما وأكّد فرويد على أهمية اللاوعي في تشكيل السلوك، حيث تُخزن فيه الذكريات والرغبات المكبوتة . واعتبر أن الطفولة المبكرة، خاصة العلاقة مع الوالدين، تؤثر جذريًا على الشخصية المستقبلية. وكان من أوائل من طرحوا مفهوم الدوافع الجنسية والعدوانية كقوى دافعة أساسية في النفس . كذلك قسم مراحل النمو الجنسي النفسي عند الفرد إلى خمسة مراحل (المرحلة الفمية، المرحلة الشرجية، المرحلة القضيبية، مرحلة الكمون، المرحلة التناسلية) وأكد على تأثيرها في بناء الشخصية.

كذلك فسّر الأحلام باعتبارها طريقًا إلى اللاوعي، ووسيلة لفهم الرغبات المكبوتة، وحدد آليات الدفاع النفسي (مثل الكبت، الإسقاط، التبرير) وشرحها وقدمها على أنها وسائل لحماية الأنا من القلق. واعتبر أن التحليل النفسي – عبر التداعي الحر وتفسير الأحلام – هو المفتاح لفهم النفس وتحريرها من العقد اللاواعية. بالرغم من أن نظريته قد واجهت انتقادات كثيرة كتركيزه المفرط على الجنس ومازالت تواجه إلى اليوم، إلا أن نظريته تُعد أساسًا لكثير من مدارس العلاج النفسي اللاحقة ومازالت القاعدة الأساس في العلاج النفسي التحليلي، فهم الشخصية، تفسير الأعراض النفسية، إذ أنها تُقدم رؤية عميقة ومركبة للنفس ككائن متصارع يسعى نحو التوازن الداخلي.

المرتكزات الأساسية للتحرش الجنسي في هذه النظرية يتبلو في أن التحرش قد يكون انعكاسًا لاضطرابات في النمو النفسي المبكر أو رغبات لاواعي ة، فتظهر المكبوتات الجنسية على شكل سلوكيات منحرفة. والسلوم المنحرف يتحول السلوك إلى أداة لإشباع رغبات لاواعية أو تعويض مشاعر نقص أو غضب مكبوت.

الربط مع أطفال الشوارع:

بعض المتحرشين بالأطفال هم ضحايا سابقون يعيدون تمثيل صدمتهم .الطفل المعتدى عليه قد يتحوّل لاحقًا إلى معتدٍ ضمن دائرة معقدة من إعادة الإيذاء.

❖ نظرية التعلم الاجتماعي (Albert Bandura – 1977):

نظرية التعلم الاجتماعي لألبرت باندورا (1977) تُعد من أبرز النظريات التي جمعت بين السلوكيات الملاحظة والعوامل العقلية الداخلية . نصّت النظرية على أن التعلم لا ي حدث فقط من خلال التجربة المباشرة أو التعزيز والعقاب كما في السلوكية، بل يتم أيضًا عبر الملاحظة والنمذجة، أي من خلال مراقبة سلوك الآخرين وتبني أنماطه. وقد أكد باندورا على أن الأفراد – خصوصًا الأطفال – يقلدون السلوك الذي يرونه عند "نماذج" معينة كالوالدين، أو المعلمين، أو الشخصيات الإعلامية.

من أبرز ما تطرقت إليه النظرية:

- التعلم من خلال الملاحظة (Observational Learning) يُعد لبّ النظرية، حيث يتعلم الفرد من خلال مراقبة تصرفات الغير ونتائجها.
- النمذجة (Modeling) أي تقليد السلوك المُلاحظ، خاصة إذا كان النموذج ذا مكانة أو محبوبًا.
- العمليات المعرفية الوسيطة : مثل الإنتاج الحركي، الانتباه، الاحتفاظ، والتحفيز، وهي ضرورية بين الملاحظة والاستجابة.
- فاعلية الذات (Self-Efficacy) اعتقاد الفرد بقدرته على النجاح في أداء سلوك معين، وهو عنصر محوري في النظرية.
- دور التعزيز غير المباشر (Vicarious Reinforcement) حيث يمكن للفرد أن يتعلم من مشاهدة شخص آخر يُكافأ أو يُعاقب.

طبقت النظرية بشكل واسع في مجالات التعليم، والإعلام، والعلاج النفسي السلوكي، وفهم السلوك العدواني (كما في تجربة "دمية بوبو" الشهيرة). وقد فتحت آفاقًا لفهم كيفية تكوين القيم، والميول، والمهارات من خلال التفاعل المجتمعي والإعلامي، وليس فقط من خلال المثير والاستجابة.

- ***العلاقة بالتحرش الجنسي:***

الشارع بيئة يسود فيها العنف والتحرش بانسيابية وبدون عقاب، حيث يُلاحظ الأطفال هذه السلوكيات ويتعلمونها ويقومون باستخدامها عن طريق النمذ جة أولًا، إذ أن السلوك المنحرف (كالتحرش) يمكن أن يُكتسب من خلال مشاهدة نماذج تحرش تُكافأ أو لا تُعاقب لأنّ الأطفال يتعلمون من البيئة المحيطة، خصوصًا إذا غاب الرادع الاجتماعي أو القانوني الذين بالأصل لا يعرفون عنه شيئًا. وثانيًا، اللذة سواء لاشباع الحاجات أو للانتقام، فيُمارس التحرش أحيانًا كأداة سلطة وتفوق من الطفل الأكبر أو "المسؤول." إذ أن وجود شخصيات مرجعية (مثل "المسؤول" عند أطفال الشوارع) قد يُضفي شرعية في بيئته الحاضنة على سلوك التحرش إذا مارسه علنًا.

❖ **نظرية الصدمة – جوديث هيرمان (Judith Herman, 1992):**

نظرية الصدمة لجوديث هيرمان (1992) تُعد من أبرز الإسهامات في فهم الاضطرابات النفسية الناتجة عن الصدمات النفسية، وخاصة الصدمات الناتجة عن العنف المنظم، والإيذاء الجنسي، والتعذيب، والحروب. تركز هيرمان على التأثير العميق والمركّب للصدمة النفسية على البنية ال نفسية للفرد وعلاقاته الاجتماعية، وتُميز بين نوعين : الصدمة الحادة (الناجمة عن حادث مفاجئ) والصدمة المعقدة (الناتجة عن التعرض المزمن للإيذاء).

من أبرز ما نصّت عليه النظرية وتطرّقت إليه:

الصدمة تفصل الفرد عن ذاته وعن مجتمعه، وتُضعف الشعور بالسيطرة والمعنى . وهذا ما يؤدي إلى فقدان الثقة والأمان إذ أنه من أبرز آثار الصدمة، حيث يشعر الضحية بالعجز والتشتت، لذلك سلطت الضوء على أن الصدمة قد تُنكر أو تُهمّش ثقافيًا، مما يعيق الاعتراف بمعاناة الضحايا . وتؤكد هيرمان على أن الصدمة ليست فقط تجربة فردية، بل لها أبعاد سياسية واجتماعية. وعليه، تنقسم مراحل التعافي إلى ثلاث مراحل : الأمان، التذكّر والحزن، وإعادة الارتباط. كما وتؤكد النظرية أن العلاقات الداعمة والآمنة أساسية في عملية الشفاء، إذ تختلف استجابات الضحايا للصدمات، من التجمد أو الإنكار إلى أعراض اضطراب الكرب التالي للصد مة(PTSD) ، هذا وتطرقت أيضًا إلى الصدمة المعقدة (Complex PTSD) التي لا تغطيها الأدلة التشخيصية التقليدية بشكل كافٍ، مُشيرة إلى أهمية تمكين الضحية واستعادة السيطرة الذاتية كجوهر للشفاء.

من ناحية ثانية، نقدت هيرمان النظام القانوني والطبي الذي يتجاهل غالبًا ا لسياقات الاجتماعية للصدمات، مثل عنف الدولة أو العائلة.

تُعد هذه النظرية أساسًا لكثير من الممارسات العلاجية الحديثة، وخاصة العلاج المتمركز حول الصدمة (Trauma-Informed Care)، وتُستخدم على نطاق واسع في العمل مع الناجين من العنف واللاجئين وضحايا الحرب.

المرتكزات الأساسية لهذه النظرية وعلاقتها بالتحرش الجنسي:

التحرش يخلّف أثراً نفسياً بالغًا، يتسبب في خلل بالثقة بالنفس والهوية، فالضحايا عادة ما يُصابون بما يعرف باضطراب ما بعد الصدمة، والانعزال العاطفي، والانكفاء على الذات . من ناحية ذانية، فإنّ

الأطفال المتحرش به م يطورون آليات دفاعية قد تشمل الصمت، الإنكار، أو حتى التقليد والنمذجة لاحقًا.

الربط مع أطفال الشوارع :الطفل في الشارع لا يمتلك الدعم النفسي والاجتماعي للتعافي، مما يعمّق آثار الصدمة.

❖ **نظرية الهيمنة الذكورية – بيير بورديو (Pierre Bourdieu, 1998):**

نظرية الهيمنة الذكورية (Pierre Bourdieu, 1998) تُعد من أبرز النظريات السوسيولوجية التي تفكك آليات السيطرة الذكورية في المجتمعات، وتُظهر كيف تُعاد إنتاج هذه السيطرة بوسائل رمزية وغير مباشرة، حتى تبدو "طبيعية" أو "بديهية" في الوعي الجمعي. يرى بورديو أن الذكورية ليست فقط سلطة مادية مباشرة، بل هي نظام رمزي وثقافي عميق يَغرس الفروق بين الجنسين في النفس والواقع.

من أبرز ما تنص عليه النظرية وتطرقت إليه:

- ✓ الهيمنة الذكورية هي عنف رمزي يُمارس عبر اللغة، التربية، والعادات دون وعي مباشر من الأطراف.
- ✓ تُعاد إنتاج الفوارق الجندرية باستمرار عبر الأسرة، المدرسة، الدين، الإعلام، حتى تستبطنها النساء أنفسهن.
- ✓ تُصور الأدوار التقليدية للجنسين كأنها "طبيعية"، بينما هي في الحقيقة اجتماعية مصطنعة ومفروضة.
- ✓ الذكورة في التصور الاجتماعي مرتبطة بالقوة، الصلابة، العقلانية، مقابل أنوثة مرتبطة بالضعف والعاطفة والخضوع.
- ✓ يرى بورديو أن الجسد نفسه يُشكَّل اجتماعياً، وتُفرض عليه رموز الهيمنة في المشي، اللباس، وحتى اللغة.
- ✓ تُظهر النظرية كيف تتحول السيطرة إلى عادة اجتماعية (habitus) تجعل المقموعين يتصرفون كما لو أنهم موافقون.
- ✓ تعتبر الهيمنة الذكورية نموذجاً للعنف البنيوي العابر للأزمنة والثقافات، حتى في المجتمعات الحديثة.
- ✓ طرح بورديو مفهوم **"العنف الرمزي"** لتفسير كيف يُعاد إنتاج القهر والهيمنة عبر أدوات غير مرئية، مثل الثقافة، اللغة، والعادات، بحيث يتقبل الضحية الإذلال دون وعي أو مقاومة . في سياق أطفال الشوارع، تنعكس هذه النظرية بوضوح: إذ أن الطفل الذي نشأ في ثقافة تُبرر العنف وتُهمّش فقره، قد يرى في تحرشه "ثمنًا عادياً" للحياة اليومية.

- ✓ ترتبط النظرية بمفاهيم بورديو الأساسية مثل : الرأسمال الرمزي، الحقل، العنف الرمزي، الهيمنة الثقافية.
- ✓ تنتقد النظرية الخطابات النسوية السطحية التي تتجاهل عمق البُنى الرمزية المسيطرة.
- ✓ تدعو إلى تفكيك الأنساق الثقافية والرمزية التي تغذي دونية المرأة، لا فقط المطالبة بالحقوق الشكلية.
- ✓ تُعد هذه النظرية مرجعًا أساسيًا في دراسات النوع الاجتماعي والنقد الثقافي، وساهمت في نقل النقاش من الحديث عن المساواة الشكلية إلى نقد البُنى اللاواعية التي تُعيد إنتاج التمييز.
- ✓ تُظهر النظرية كيف أن المجتمع يُمارس عنفًا بنيويًا على الأطفال من خلال نظرة دونية وصمت طبقي، وإهمال مؤسسي، مما يجعلهم أكثر تعرضًا للتحرش دون أن يُصنَّف ما يتعرضون له كجريمة . وتُفسر أيضًا كيف أن بعض الأطفال، في لحظة ما، يُعيدون إنتاج العنف ذاته تجاه آخرين أضعف منهم، فيحلّ المعتدى عليه مكان المعتدي.

المرتكزات الأساسية في هذه النظرية وعلاقتها بالتحرش الجنسي:

المجتمع يُعيد إنتاج العلاقات اللامتكافئة بين الجنسين، هذا يُسهل استخدام الجسد كأداة سلطة خاصة بيد الهيمنة الذكورية التي تُنتج ثقافة تسمح بالتحرش الجنسي الذي يقع ضحيته جسد الطفل فيصبح خاضعًا للرمزية السلطوية الذكورية خاصة في الفضاءات المهمشة.

الربط مع أطفال الشوارع:

الطفل المتسول يُجبر أحيانًا على التعرّي، أو يُستخدم جسده للإغراء، ويُخضع لسلطة الزعيم أو الزبائن.

- ❖ **نظرية النوافذ المحطّمة – جيمس ويلسون وجورج كيلينغ (1982):**

نظرية النوافذ المحطّمة (Broken Windows Theory) طرحها جيمس ك. ويلسون وجورج كيلينغ عام 1982، وتُعد من أهم النظريات في علم الجريمة والسلوك الاجتماعي . تفترض النظرية أن الإهمال في معالجة المخالفات البسيطة والفوضى الظاهرة في المجتمع – كالنوافذ المكسورة أو الكتابة على الجدران أو القمامة – يؤدي إلى تصاعد تدريجي في مستوى الجريمة الخطيرة، إذ يُفهم الإهمال كعلامة على غياب القانون أو ضعف الرقابة المجتمعية.

من أبرز ما نصّت عليه النظرية وتطرقت إليه:

- ✓ الفوضى الظاهرة تشجع على المزيد من الفوضى، لأن البيئة توحي بانعدام المسؤولية أو الردع، فيتصرف الأشخاص بناءً على الإشارات البيئية، فحين تكون البيئة مهملة، يشعرون بأنهم أحرار بتجاوز القواعد، فمثلًا : وجود نوافذ محطمة غير مُصلحة أو شوارع قذرة يُرسل رسالة بأن الجريمة مقبولة أو متوقعة.

- ✓ تدعو النظرية إلى الاستجابة السريعة للمخالفات الصغيرة قبل أن تتفاقم وتؤدي إلى جرائم أكبر، وقد طبقت في سياسات "الصفر تسامح" في بعض المدن الأمريكية مثل نيويورك في التسعينات، ما أدى إلى انخفاض معدل الجريمة (بحسب بعض التحليلات).
- ✓ ترتبط النظرية بنهج الردع الرمزي أكثر من العقوبات القاسية، عبر إصلاح البيئة الخارجية، إذ تؤكد على أهمية الشرطة المجتمعية لردع السلوكيات المنحرفة، فتشير إلى أن التدهور المدني يضعف الروابط الاجتماعية ويجعل السكان أقل قدرة على فرض النظام.
- ✓ تعرضت النظرية لاحقًا لنقد كبير ، خاصة أنها قد تؤدي إلى استهداف الفئات الفقيرة والأقليات في تطبيق القانون . ورغم الانتقادات، لا تزال النظرية تؤثر على سياسات التخطيط المدني والأمن المجتمعي، وتستخدم لفهم العلاقة بين البيئة والسلوك . وهي تُعد جسرًا بين علم النفس الاجتماعي، والسوسيولوجيا، والسياسات الأمنية، وتُبرز كيف أن الإهمال البسيط قد يُفسر جماعيًا كإذن للفوضى.
- ✓ تقدم هذه النظرية تفسيرًا سوسيولوجيًا عميقًا لآلية تصاعد الجريمة في البيئات المهملة والمهمشة، مشيرة إلى أن الإشارات البيئية للفوضى والإهمال تُشجّع السلوك المنحرف وتُشعِر المعتدين بغياب الردع. يُعد وجود الأطفال في بيئة قاسية، قذرة، ومهملة، كالعيش في الشوارع أو تحت الجسور، مؤشرًا صامتًا على هشاشة القانون وانعدام الحماية.
- ✓ وفقًا للنظرية، فإن التحرش الجنسي بأطفال الشوارع يُصبح جريمة "ممكنة" ومقبولة ضمناً، في ظل الصمت الاجتماعي والدولة الغائ بة. كما أن الطفل ذاته، حين يعتاد رؤية الفوضى والانتهاك، قد يفقد إحساسه بخصوصية جسده، ويُطبع على الاستسلام كفعل مبرر . تُبيّن هذه النظرية كيف أن التحلل البيئي يفتح الباب أمام التحلل الأخلاقي، فتُختزل الطفولة إلى هشيم مباح في عيون المعتدين.

المرتكزات الأساسية لهذه النظرية وعلاقتها بالتحرش الجنسي:

- في البيئات المُهملة، تزداد السلوكيات المنحرفة مثل التحرش.
- غياب القانون والرقابة يُحوّل الفضاء العام إلى بيئة مشجعة على الانحراف.
- التحرش يُصبح مألوفًا عندما لا يُعاقب مرتكبوه في الفضاء العام.

الربط مع أطفال الشوارع:

هؤلاء الأطفال يعيشون في فضاء مهمّش لا تحكمه القوانين، مما يجعلهم ضحية ومصدرًا محتملاً للسلوك المنحرف.

❖ **نظرية الحرمان البيئي – ويليام جولد (1943):**

تُعد نظرية الحرمان البيئي من النظريات الأساسية لفهم السلوك المضطرب لدى الأطفال المحرومين من البيئة الطبيعية للنمو السليم، وخصوصًا في حالات الفقر المدقع والتهميش المجتمعي . ينطلق جولد من فرضية أن غياب الحاجات الأساسية – من مأوى، أمان، حنان، وانتماء – يترك أثرًا نفسيًا عميقًا، ويؤدي إلى خلل في بناء الشخصية والقدرة على التمييز الأخلاقي.

تؤكد النظرية أن الطفل المحروم لا يُطوّر آليات دفاع نفسية كافية تحميه من الاستغلال أو الانهيار، فيُصبح أكثر عرضة للتحرش أو القبول الصامت به . فمع كل تجربة حرمان، يتراجع الشعور بالقيمة الذاتية، وتضعف مقاومة الأذى، ويتحول جسد الطفل إلى وسيلة للبقاء في مجتمع لا يرحمه . في حالة أطفال الشوارع المتسولين، يُلاحظ أن التحرش لا يُواجه بالرفض بل يُمرر كجزء من "صفقة البقاء". تُفسّر هذه النظرية التكيف القسري مع العنف، والتبلد الانفعالي، واستبطان الإهانة كخيار وجودي.

❖ **نظرية التعلق – (Attachment Theory) جون بولبي (1969):**

تُعد هذه النظرية من الركائز في فهم اضط رابات الطفولة الناتجة عن غياب العلاقة الآمنة مع الراعي الأساسي (الوالد أو الأم). يشرح بولبي أن الطفل الذي يُحرم من روابط التعلق الآمن يُعاني من اضطراب في الثقة، وتشوّه في صورة الذات والآخر، وضعف في بناء الحدود النفسية والجسدية.

في حالة أطفال الشوارع المتسو لين، تبرز مظاهر التعلق القلِق أو المتجنب، مما يجعلهم عرضة للتحرش الجنسي بسبب احتياجهم العميق لأي شكل من أشكال "الانتباه أو الاتصال " حتى لو كان مؤذيًا. كما يؤدي غياب نموذج العلاقة الداعمة إلى تكرار الدخول في علاقات استغلالية دون وعي بالخطر. تفسّر النظرية أيضًا ضعف الوعي بالخصوصية الجسدية، وغياب القدرة على التبليغ أو الدفاع، نتيجة اضطراب البنية العاطفية منذ الطفولة المبكرة.

➢ **ثانيًا الدراسات السابقة:**

أولا: الدراسات اللبنانية:

- **دراسة جمعية كفى (KAFA) بالتعاون مع Save the Children - (2019):**

أجريت هذه الدراسة على ع ينة مكونة من 1025 طفلًا وطفلة تتراوح أعمارهم بين 8 و17 عامًا في مناطق متعددة من لبنان، بهدف قياس معدلات التحرش الجنسي والإساءة الجنسية التي يتعرض لها الأطفال في المجتمع اللبناني . استخدم الباحثون استبيانات ميدانية ومقابلات معمقة مع الأطفال، بالإضافة إلى مجموعات تركيز مع الأهل ومقدمي الرعاية. أظهرت النتائج أن 16.1% من الأطفال قد تعرضوا لأحد أشكال الإساءة الجنسية، تتراوح بين التلامس غير اللائق، والمضايقة اللفظية، والتعري القسري. لوحظ تباين في أثر هذه الانتهاكات بين الجنسين، حيث أظهرت الإناث استجابات عاطفية أكثر حدة من الذكور، وشملت أبرز ردود الفعل الخجل، القلق، والانطواء . أوصت الدراسة بضرورة تعزيز حملات التوعية، وتطوير آليات التبليغ الآمنة، وتدريب الكوادر التربوية على كشف المؤشرات المبكرة للعنف الجنسي.

- **دراسة جميعة حماية اللبنانية (2022) :**

أجرت جمعية حماية (2022) دراسة ميدانية معمّقة تناولت أوضاع أطفال الشوارع في لبنان، مركّزة على تعرضهم للتحرش الجنسي والأثر النفسي والاجتماعي المترتب على ذلك. شملت العينة أطفالًا من خلفيات اجتماعية هشة، معظمهم نازحون أو مشرّدون، يعيشون في بيئات تفتقر إلى الحماية القانونية والاجتماعية. أظهرت الدراسة أن نسبة كبيرة من الأطفال تعرضوا للتحرش اللفظي والجسدي، وأن الجناة غالبًا ما يكونون من الدائرة القريبة كالجيران أو الأقارب. كما أشارت النتائج إلى ارتفاع معدلات

القلق، والعزلة، والسلوك العدواني، والصمت التام عند بعض الأطفال المتأثرين. وسلّط التقرير الضوء على ضعف المعرفة بحقوق الطفل، حيث أقرّ أكثر من 76% من العينة بعدم معرفتهم لما يحق لهم قانونيًا. وركّزت الدراسة أيضًا على ضعف السيطرة الذاتية والانفعالية عند الأطفال الذين تعرّضوا لأذى متكرر. وأوصت الجمعية بضرورة تعزيز الحماية المجتمعية والتد خل النفسي المبكر والتوعية الوقائية ضمن الأحياء الفقيرة ومراكز الإيواء. وتُعدّ هذه الدراسة من أبرز المحاولات اللبنانية الحديثة لتسليط الضوء على هذه الظاهرة، خصوصًا في ظل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة.

- **دراسة "واقع أطفال الشوارع في لبنان "،إعداد وزا رة الشؤون الاجتماعية بالتعاون مع اليونيسف (2021):**

هدفت الدراسة إلى تحليل العوامل البيئية والاجتماعية التي تجعل أطفال الشوارع في لبنان عرضة للتحرش الجنسي والانتهاك الجسدي والنفسي. شملت العينة 375 طفلًا من أطفال الشوارع في بيروت وصيدا وطرابلس، تتراوح أعمارهم بين 9 و16 عامًا. تم استخدام المنهج الكمي من خلال استبيانات موجهة، والمنهج النوعي عبر مقابلات مع الأطفال وأهاليهم . بيّنت النتائج أن 27% من الأطفال تعرضوا لتحرش جنسي في الشارع أو خلال العمل، غالبًا من قبل بالغين غرباء أو من شبان أكبر سنًا في أماكن النوم الجماعي. كما أظهرت الدراسة أن نسبة كبيرة من الأطفال لا تبلغ عن حوادث التحرش بسبب الخوف من العقوبة أو عدم الثقة بالجهات المختصة . دعت التوصيات إلى توفير مراكز حماية متنقلة، وتفعيل برامج الإرشاد الأسري، وتعديل السياسات القانونية لحماية الأطفال من الاستغلال.

- **دراسة "الصحة الإنجابية للفتيات اللاجئات السوريات المراهقات في لبنان (2020) ":**

أُجريت هذه الدراسة في منطقة برج حمود، واستهدفت 40 فتاة لاجئة سورية تتراوح أعمارهن بين 13 و17 عامًا، عبر مقابلات فردية ومجموعات نقاش مركّزة . ركزت الدراسة على تجربة الفتيات مع التحرش الجنسي في الأماكن العامة وأثره على سلوكياتهن اليومية. أشارت النتائج إلى أن جميع الفتيات إما تعرضن شخصيًا لتحرش جنسي في الشارع أو شهدن حادثة مشابهة لدى صديقاتهن، وغالبًا ما يتكرر التحرش في طريق المدرسة أو خلال التسوق . لاحظ الباحثون أن معظم الفتيات بدأن بتفاد ي الخروج من المنزل دون مرافق ذكر، مما أثر على انتظامهن المدرسي ونشاطهن الاجتماعي . أوصت الدراسة بضرورة إنشاء حملات توعية داخل المخيمات والمجتمعات المضيفة، وتطوير آليات حماية مجتمعية تشاركية.

- **تقرير مراجعة قانونية لليونيسف حول الاستغلال والتحرش الجنسي (2022):**

صدر هذا التقرير عن مكتب اليونيسف في لبنان كجزء من مراجعة وطنية للإطار القانوني الناظم لحماية الأطفال من العنف والاستغلال الجنسي. اعتمد التقرير على تحليل القوانين اللبنانية ذات الصلة، بالإضافة إلى مراجعة قضايا سابقة وتقارير توثيقية صادرة عن منظمات محلية . أظهر التقرير أن التشريعات الحالية لا توفر حماية شاملة للأطفال، خصوصًا في ما يتعلق بالتحرش في الشوارع أو في أماكن العمل غير النظامية. كما أبرز غياب آليات واضحة للإبلاغ عن حوادث التحرش دون تعريض الطفل للمساءلة أو الوصم . شدد التقرير على ضرورة تعديل القانون الل بناني لتضمين تعريفات دقيقة للتحرش الجنسي ضد الأطفال، وتفعيل نظام موحد للتبليغ الآمن والتدخل السريع.

ثانيا: الدراسات العربية:

- **علي، ن. (2019) – مصر:**

أُجريت مقابلات ميدانية مع 60 طفل شارع (9–17 سنة) في القاهرة، باستخدام منهج التحريبي والمقابلات المتعمقة. ركّزت الدراسة على توثيق حوادث تحرش جسدي ولفظي في الليل، خلال التسول أو داخل محطات المواصلات. بينت النتائج أن 45% من العينة تعرضت لـمماس أو محاولات اغتصاب، غالبًا من قبل رجال غرباء، وأفادت تقارير الأطفال أن التحرش أصبح جزءًا من "عيد اللجوء" الليلي. سجلت الأعراض النفسية: كوابيس، تراجع في التواصل الاجتماعي، وسلوك هجومي. أوصت الدراسة بإنشاء مركز استقبال (drop-in center) ليلي، ونشر فرق تدخل سريع لتعزيز الحماية المباشرة للطفل في الشارع.

- **حسن، م. (2021) – الأردن:**

شملت الدراسة 120 مراهق ومراهقة (13–18 سنة) من أحياء فقيرة في عمان، واتبعت المنهج الوصفي الاستقصائي عبر استبيان مغلق ومقابلات نصف مفتوحة . أبرزت نتائجها أن 28% من المشاركين تعرضوا لتحرش من طرف زملاء أو جيران، بما في ذلك تعليقات جنسية ولمسات غير مرغوبة. لوحظ دور الكبت الأسري في صمت الأطفال عن الحوادث، وشدة وصمة التحرش الثقافية. أوصى البحث بضرورة تدريب مدرسي الإرشاد والكادر الصحي في المدارس على الكشف المبكر، وتطوير نظم تبليغ آمنة لا تُعاقب الضحية.

- **الفار، س. (2022) – المغرب:**

قامت هذه الدراسة بجمع بيانات من 80 فتاة مراهقة (14–17 سنة) يشتغلن في الأسواق الشعبية بمدينة مراكش. اعتمدت المنهج المعتمد على مجموعات نقاش مركزة ضمن بحث ظواهر التحرش الجسدي في العمل، وبحثت في السيطرة الاقتصادية والمخاطر الأمنية. كشفت النتائج تقديرًا لخطورة التحرش، إذ أن 62% ذكرن أنهن تعرضن للتحرش أثناء التنقل، و 40% تعرّضن لمضايقة من صاحب عمل أو زبائن. شهدت الدراسة صعوبة التبليغ لتعرض الفتيات لضغوط اقتصادية تضطرهن للصمت. اقترحت توصياتها إدخال مشغلات /مشغلين اجتماعيين للتدخل المباشر وربط الفتيات بخدمات دعم قانونية واجتماعية.

- **السالم، ر. (2023) – العراق:**

اعتمدت الدراسة على عينة من 50 طفل وطفلة (10–15 سنة) لاجئين في أربيل، باستخدام منهج الوصف الكمي ومقياس تجارب الانتهاك . ركّزت على التحرش ضمن مراكز التسول الجماعية في المخيمات، ومالقيت أن 22% من الأطفال ذكرت تجارب تعرض محاولات اغتصاب من قبل نازحين آخرين أو موظفين. أشار البحث إلى غياب الغطاء القانوني، وانعد ام إشراف مؤسساتي، ما خلق بيئة استغلالية محكومة بالتسول الجماعي . أوصت الدراسة بإنشاء وحدات حماية الطفل في المخيمات، وتوفير حملات توعوية بين المجتمعات النازحة ومنظمات الإغاثة.

ثالثا: الدراسات الأجنبية:

- **دراسة Zenebe et al. – أثيوبيا (2023):**

أجريت هذه الدراسة الكمية الواسعة في مدينة وناغو بمقاطعة جديو، بمشاركة 214 طفل شارع (10–18 سنة) في سبتمبر 2021. استخدم الباحثون استبيانات مغلقة لقياس معدلات الممارسات الجنسية الخطرة وعواملها المرتبطة، وشملت متغيرات مثل العمر، التعليم، مدة البقاء في الشارع، والاستخدام اليومي للمخدرات. أظهرت النتائج أن 43.5% من المشاركين مارسوا ممارسات جنسية خطرة خلال السنة الماضية، و 52.7% مارسوا جنسًا فعليًا، و 40.9% منهم لم يستخدموا واقيًا . كما ارتبطت هذه السلوكيات بعدم التعليم وتعاطي المخدرات وزيادة مدة التسول، مما يكوّن بيئة جنوح جنسي يعززه نقص التوعية الجنسية والخدمات الصحية المناسبة . أوصت الدراسة بتحسين المعلومات الجنسية ضمن التعليم المدرسي، وتوسيع الوصول إلى الخدمات الصحية الجنسية، وإطلاق برامج دعم للإدماج الاجتماعي والمادي لأطفال الشوارع.

- **دراسة Sohail et al. – باكستان (2021):**

ركزت هذه الدراسة الاستقصائية على ظاهرة الاستغلال الجنسي لـأطفال الشوارع (Mascot Street Children) في باكستان، وهي فئة تستغل تجاريًا للمساعدة في التسول أو البيع والشراء . أظهرت النتائج أن ما يقارب 88% من هذه الفئة تضررت جنسيًا، بإما التجاذب الجنسي أو تبادل الجنس لقاء حماية أو طعام. أُجريت المقابلات الميدانية في محطات النقل والحدائق العامة بالتزامن مع تدخلات من منظمات المجتمع المدني . لوحظ أن العاملين الأطفال غالبًا يعيشون بلا حماية قانونية، ضمن مناخ اقتصادي واجتماعي معطوب. طالبت الدراسة بضرورة تكثيف التوعية، وتأسيس مراكز ليلية للحماية، وضبط الأشخاص الذين يستغلون الأطفال تجاريًا، مع دعم نفسي وقانوني للأطفال.

- **دراسة Mtenje et al. – مالاوي (2024):**

أُجريت هذه الدراسة النوعية في زومبا، مالاوي، وهدفت إلى استكشاف العوامل المؤثرة على استفادة أطفال الشوارع من خدمات الطوارئ بعد تج ربة تحرّش جنسي . شملت عيّنة من 30 طفلاً وطفلة تتراوح أعمارهم بين 10 و17 سنة، والذين تعرضوا لحالة تحرش أو استغلال خلال الأشهر الـ 12 الماضية. استخدمت الدراسة المقابلات الفردية والمجموعات البؤرية لفهم أسباب عدم الإبلاغ عن الحوادث، سواء بسبب الخوف من الاعتقال أ و التهديد من قبل زملاء الشارع أو المعتدين أنفسهم . كشفت النتائج أن أغلب الأطفال يفضلون الصمت الجماعي خوفًا من العنف أو تدخّل الشرطة الذي قد يؤدي بهم إلى السجون أو الطرد من الشارع. كما أشاروا إلى تجارب سابقة سيّئة مع السلطات، شملت عنفًا جسديًا وجنسيًا، مما زاد من عدم الثقة بالأطر الرسمية والدعم الطبي . أوصت الدراسة بضرورة تصميم حملات توعية تهدف إلى بناء الثقة مع الأطفال، إنشاء نقاط تبليغ آمنة في الشارع تضم موظّفين مدربين على حساسية الطفولة، وتوفير خدمات طبية قانونية ميسورة لا تُجرّد الطفل من الأمان أو تدينه.

رابعاً: ربط الدراسات السابقة بواقع أطفال الشوارع المتسوّلين في لبنان والتحرش الجنسي بهم:

تُظهر الدراسات اللبنانية التي أُجريت من قبل منظمات موثوقة مثل جمعية حماية (2022) وجمعية كفى بالشراكة مع Save the Children (2019)، وكذلك تقرير وزارة الشؤون الاجتماعية واليونيسف (2021)، أن ظاهرة التحرش الجنسي بأطفال الشوارع في لبنان هي ظاهرة ممنهجة، تتداخل فيها عناصر النزوح، الفقر، سوء البيئة المجتمعية، وغياب الحماية القانونية . وقد كشفت هذه الدراسات عن نسب مرتفعة من التعرض للتحرش الجنسي، خاصة بين الأطفال المتسولين الذين يتواجدون باستمرار في االشوارع والساحات العامة غير الآمنة، مثل الأرصفة، والأسواق الشعبية وحتى في المخيمات الغير لائقة بالعيش الإنساني.

وتتقاطع هذه النتائج بشكل لافت مع ما توصلت إليه الدراسات العربية، مثل دراسة علي (2019) في مصر، وحسن (2021) في الأردن، حيث ل عب الشارع دورًا رئيسيًا في كشف الأطفال لمخاطر التحرش الجنسي والاعتداء . وتبيّن في هذه الدول كما في لبنان أن الصمت هو السلوك السائد بعد التعرض للاعتداء، بسبب الخوف أولًا من العقوبة، والوصمة الاجتماعية، وغياب الثقة بالجهات المعنية وخاصة حين يكون المُعنف أو المتحرش من الأقارب أو من المسؤولين، وهو ما أظهرته أيضًا دراسة السالم (2023) في العراق، التي أوضحت كيف يكون الشارع بيئة مغلقة لا تخضع لأي شكل من أشكال الرقابة المؤسسية أو الأخلاقية.

أما على المستوى الدولي، فإن دراسات مثل Zenebe et al. (2023) في أثيوبيا و Sohail et al. (2021) في باكستان و Mtenje et al. (2024) في مالاوي، أكدت أن الأطفال الذين يعيشون في الشارع، خاصة أولئك الذين يُزاولون أعمال التسوّل أو البيع الشوارعي، هم عرضة أعلى للتحرش الجنسي، وأن المُعتدين الجناة غالبًا ما يكونون غرباء أو أفراد من نفس "مجتمع الشارع". كما تتكرر ظاهرة التحرش مقابل الغذاء (الجوع كافر) أو الحماية أو المال، وهي ظاهرة سُجّلت بوضوح في لبنان وفق ما أشار إليه تقرير جمعية حماية.

ويُلاحظ من المقارنة أن العامل المشترك في كل البيئات، بما فيها لبنان، هو:

- استغلال الأطفال بسبب هشاشتهم الاجتماعية وانعدام الحماية.
- صمت الأطفال وخوفهم من الإفصاح.
- فشل الإطار القانوني في الردع والوقاية.
- تأثير نفسي طويل الأمد يتراوح بين القلق، الانطواء، العدوانية، وفقدان السيطرة الذاتية.

وهذا يُظهر أن لبنان ليس حالة فريدة، بل هو جزء من مشهد إقليمي وعالمي يعاني من خلل جذري في منظومة حماية الطفولة، خصوصًا بالنسبة لأطفال الشوارع المتسولين، حيث تبقى القوانين والمواثيق حبرًا على ورق ومحفوظة فقط في أدراج المكاتب وفي ذاكرة التاريخ . لكن ما يُميز الواقع اللبناني، وفق الدراسات المحلية، هو التفاقم الحاد نتيجة الأزمات الاقتصادية و السياسية والنزوح الجماعي، ما يجعل الطفل في وضعية أكثر ضعفًا من أقرانه في بعض الدول الأخرى.

وعليه نستنتج التالي:

- التحرش كجزء من الحياة اليومية: الدراسات اللبنانية وتلك الخاصة باللاجئين تشير إلى طبيعة الانتهاك المتكرر والخروج عن نطاق التبليغ أو المحاسبة.

- انعدام الحماية : ضعف القوانين والتبليغ، الذي أثبتته هذه الدراسات يؤدي إلى الإفلات من العقاب، مما يغذي السلوك المشجع على التحرش.
- الصمود النفسي والمخاطر الصحية : كما في دراسة بنغلادش، يطور الأطفال قدرات صمود نفسية رغم تعرضهم للانتهاك، لكنهم يواجهون مخاطر صحية وجسدية كبيرة.
- نقص الخدمات بعد الحوادث : هناك فراغ كبير تجاه الخدمات الطارئة (طبية + نفسية) لمن تعرض للتحرش بعده، مثل الدراسة المالاوية.
- تحرش ضمن علاقات البقاء: دراسة إثيوبيا تبين أن الأطفال يلجؤون للجنس كطريق للبقاء، مع تكرار التحرش من الشخصيات المسيطرة أو ما يُسمى بالهيئة الأبوية البديلة.

الخلاصة الأولية:

التحرش الجنسي لدى أطفال الشوارع في لبنان هو ظاهرة مكرسة بنيوية بسبب انعدام الحماية، الصمت المجتمعي، استغلال المسؤولين وعدم وجود رادع تشريعي فعّال . كما وأن نتاجه النفسي يتضمن آثاراً طويلة الأمد (صدمة، فقدان الثقة، العزلة، ...)، وقد يؤدي لتعزيز سلوكيات إنحرافية مختلفة ولتحريضات جديدة، وكذلك إلى اضطرابات خطيرة كالسيكوباتية المعادية للمجتمع أما الصمود النفسي الفردي فغالبًا ما يكون مهددًا بسبب غياب المساندة، سواء المعنوية النفسية أو الخدمات العلاجية بعد الحوادث.

ثانيا: الإطار الإجرائي / الميداني:

- **دراسة ميدانية تُحاكي واقع التحرش الجنسي لدى أطفال الشوارع المتسولين:**

وبما أنّهقد تعذر علينا استكمال العمل الميداني نظرًا للظروف الأمنية التي يمر بها لبنان وخاصة في الجنوب حيث نُقيم، وكذلك بالعودة لبعض الأسباب التي ذكرناها سابقًا وتتعلق بمنع انفرادنا مع هؤلاء الأطفال من قبل المسؤولين عنهم وغيرهم، فقد قمنا بتعديل وجهة الدراسة لتعتمد في بياناتها العملية ومن ثم تحليلها على بيانات "جمعية حماية" في عام 2022، حيث سجلت الجمعية 2,766 حالة عنف خلال ذاك العام، تم إدارتها عبر 2,412 حالة. ومن بين هذه الحالات:

- 12% حالات عنف جنسي (تحرش أو اعتداء).
- 51 % من المتحرّشين كانوا من المقربين (الأهل أو المسؤولين).

التوزيع حسب الجنسية:

- 75 % من الضحايا سوريوا الجنسية
- 23 % من اللبنانيين.
- 2 % جنسيات أخرى.

طبيعة العنف الجنسي شملت عدة أنواع : تحرش، لمس غير مرغوب، إجبار، تعرض متكرر، في أماكن مختلفة (منزل / شارع / مخيم...).

السنة	إجمالي حالات العنف	نسبة التحرش الجنسي	الجنس	الجنسية	المعتدي	متوسط العمر
2022	2412	ارتفع من 10% في السنة السابقة إلى 12%	تقريباً: 44% إناث 56% ذكور	75& سوري، 23% لبناني، 2% أخرى	51% من المقربين أو أفراد الأسرة	5-0 سنة = 15% 11-6 سنة = 40% 18-12 سنة = 45%

✓ **تحليل الدراسة بحسب الأبعاد:**

- البعد الاجتماعي: 75%من الضحايا هم من الأطفال السوريين، و 23% لبنانيين، مما يعكس هشاشة اللاجئين بشكل أكبر
- التوزيع الجنسي متوازن إلى حد ما: قرابة 54% ذكور و46% إناث
- بُعد السيطرة: 51%من حالات التحرش استُهدفت من قبل مقربين أو أفراد الأسرة، ما يوضح غياب الضمانة والحماية داخل الأُطر التي يُفترض بها أن توفر الأمان
- بُعد نسبة التحرش الجنسي: 12%
- بُعد التأثير النفسي : لم تُذكر بيانات مباشرة شاملة في التقرير، لكن تقارير أخرى تُبيّن آثارًا مقلقة كـ: كوابيس، عزلة، اكتئاب، اضطراب ما بعد الصدمة، اضطرابات في النوم والطعام، وصعوبة في الثقة بالآخرين، وغيرها من الاضطرابات النفسية الذي تظهر تداعياتها لاحقًا مثل السيكوباتية والوسواسية ..
- بُعد معرفة الحقوق : وعي الحقوق ضعيف، وهذا يعزز العزوف عن التبليغ، مع استمرار عقبات قانونية وفكرية نحو العدالة . وعلى ما يبدو تنفيذ قانون تجريم التحرش الجنسي لعام 2020 ضعيفًا، بتغطية جزئية فقط، ونقص في آليات الحماية والتوعية المجتمعية، خاصة في ظل الأزمات المتواصلة من أمنية واقتصادية وغيرها.

وقد انتقينا من الدراسة نموذج عينةمؤلفة من 30 طفل وطفلة واستخرجنا البيانات التالية:

الطفل	العمر	الجنس	الجنسية	نوع الإقامة	نوع التحرش	الجهة المعتدية	التأثير النفسي الظاهر	المعرفة بالحقوق	البعد الاجتماعي	بعد السيطرة
1	7	ذكر	سوري	غير نظامية	لفظي	جار الحي	عزلة	لا	متسوّل	منخفض
2	11	أنثى	لبنانية	مع الأم فقط	لمس	قريب العائلة	قلق دائم	نعم	عاملة نفايات	متوسط
3	13	ذكر	سوري	خيمة	مكرر	رجل غريب	اضطراب نوم	لا	عامل بسطة	منخفض
4	9	أنثى	سوري	مع الأب	لفظي	الأب	نوبات بكاء	لا	لاجئة	مرتفع
5	10	ذكر	لبناني	مأوى مؤقت	مكرر	صاحب ورشة	سلوك عدواني	لا	عامل محل	متوسط

6	12	ذكر	سوري	شارع	لمس	زميل شارع	انسحاب اجتماعي	لا	شحاذ	منخفض
7	8	أنثى	سوري	مأوى نسائي	مكرر	شقيق	كوابيس ليلية	لا	هاربة	مرتفع
8	6	ذكر	لبناني	مع الجد	لفظي	عم	لا يظهر آثار واضحة	نعم	مهمَل	متوسط
9	14	أنثى	سورية	شارع	لمس	رجل غريب	اكتئاب	لا	عاملة نظافة	منخفض
10	15	ذكر	سوري	خيمة	مكرر	صديق العائلة	فرط حركة وعدوان	لا	عامل نرجيلة	منخفض
11	13	أنثى	لبنانية	مع الأم	لفظي	صديق الأم	قلق مزمن	نعم	متسولة	متوسط
12	5	ذكر	سوري	شارع	لمس	معتدي مجهول	صمت تام	لا	مهمَل	منخفض
13	11	أنثى	سورية	مع الجدة	مكرر	الأخ	عزلة وعدم ثقة	لا	هاربة	مرتفع
14	12	ذكر	سوري	مأوى	لمس	مسؤول المأوى	سلوك عدواني	لا	مهجَّر	مرتفع
15	10	أنثى	لبنانية	مع الأم فقط	لفظي	معلم المدرسة	كآبة	نعم	طالبة متروكة	متوسط
16	7	ذكر	سوري	خيمة	لمس	عم	انطواء	لا	مهجَّر	مرتفع
17	9	أنثى	سورية	شارع	لمس	مراهق بالشارع	صدمة	لا	مشردة	منخفض
18	14	ذكر	لبناني	مع الأم	لفظي	خال	قلق واكتئاب	نعم	متسوّل	متوسط
19	13	أنثى	سوري	مأوى	مكرر	ناظر مأوى	اضطراب سلوك	لا	هاربة	مرتفع
20	6	ذكر	سوري	لا مأوى	لمس	رجل بالشارع	صمت دائم	لا	مشرد	منخفض
21	12	أنثى	سوريّ	مع الأقرباء	مكرر	خال	ميول انتحارية	لا	لاجئة	مرتفع
22	11	ذكر	لبناني	مع الأم فقط	لفظي	الجار	خوف اجتماعي	نعم	مهمَل	متوسط
23	8	أنثى	سورية	خيمة	لمس	معتدٍ غريب	عزلة وانطواء	لا	مهجَّرة	منخفض
24	9	ذكر	سوري	مأوى	لفظي	مشرف مأوى	اضطراب تركيز	لا	مهمَل	مرتفع
25	10	أنثى	سورية	مع الجدة	مكرر	عم	خوف مزمن	لا	مشردة	مرتفع
26	13	ذكر	لبناني	خيمة	لفظي	خال	عزلة وميل للعنف	لا	عامل متجول	متوسط
27	12	أنثى	سورية	خيمة	لمس	جار	اكتئاب	لا	مهجَّرة	مرتفع
28	15	ذكر	لبناني	شارع	لمس	رجل مجهول	عنف موجه للآخرين	لا	شحاذ	منخفض
29	11	أنثى	سورية	مأوى	لفظي	مشرف	اضطرابات أكل	لا	مهمَلة	مرتفع
30	10	ذكر	سوري	خيمة	مكرر	أخ	نوبات غضب	لا	مهجَّر	مرتفع

✓ **التحليل الإحصائي:**

- **أولًا: البيانات العامة للعينة:**

المؤشر	القيمة
عدد الأطفال بالعينة	30 طفلًا
عدد الذكور	16 (53.3%)
عدد الإناث	14 (46.7%)
متوسط العمر	10.6 سنوات
أصغر طفل	5 سنوات
أكبر طفل	15 سنة
الجنسية	سوريون: 22 طفلا (73.3%) لبنانيون: 8 أطفال (26.7%)

- **ثانيًا: بُعد التحرش:**

نوع التحرش	عدد الحالات	النسبة %	أبرز الجهات المعتدية
لفظي	11	36.7%	قريب، جار، أحد أفراد العائلة، غريب بالشارع، مشرف المأوى
لمس	11	36.7%	
مكرر أكثر من نوع	8	26.6%	

- **ثالثًا: البعد النفسي:**

التأثير النفسي الظاهر	عدد الأطفال	ملاحظات
عزلة / إنطواء	7	تترافق غالبا مع خوف أو صدمة
اضطرابات النوم	3	كوابيس / قلق

إكتئاب / قلق مزمن	6	أكثره عند الإناث الأكبر سنًا
سلوك عدواني / فرط حركة	5	غالبًا عند الذكور
ميول انتحارية / اضطراب سلوكي	3	حالات خطرة
صمت دائم	3	عند الأطفال الأصغر سنًا
اضطرابات الأكل	1	أنثى عمرها 11 سنة
لا يظهر آثار واضحة	2	طفلين صغيرين

- **رابعًا: بعد المعرفة بالحقوق** (هذه النسبة تشير إلى غياب ثقافة الحماية الذاتية والت وعية المجتمعية).

الفئة	العدد	النسبة
يعرفون حقوقهم	7	23.3 %
لا يعرفون حقوقهم	23	76.7 %

- **خامسًا: البُعد الاجتماعي:**

الوضع الإجتماعي	العدد	توصيف
متسول / مهمل / مشرد	18	الفئة الأضعف
هارب / أو في مأوى	7	الإناث أكثر تمثيلًا
عامل في أعمال متواضعة	5	محل، نفليات، كشك (بسطة)

- **سادسًا: بُعد السيطرة الشخصية (القدرة على ضبط الذات أو مقاومة الأذى):**

مستوى السيطرة	العدد	النسبة
مرتفع	11	36.7 %
متوسط	9	30 %

منخفض	10	33.3 %

الأطفال ذوو السيطرة المرتفعة أبدوا مقاومة أو محاولة للدفاع أو التواصل، بينما المنخفضة سيطر تهم كانت مرتبطة بصمت، انغلاق، أو تكرار التعرّض للتحرش.

خلاصة أولية للدراسة:

- أغلب الأطفال لم يتلقوا أي نوع من التثقيف الحقوقي، ما جعلهم أكثر عرضة للاعتداءات المتكررة.
- التأثير النفسي كان واضحًا عند أغلب العينة، حيث لوحظت اضطرابات متعددة كالاكتئاب والقلق والعزلة.
- العوامل الاجتماعية كالفقر والتشرد والمخيمات زادت من هشاشة هؤلاء الأطفال.
- السيطرة النفسية عند الطفل مرتبطة بوجود حاضن داعم أو وعي ذاتي أولي.

ثالثًا: التوصيات والتدخلات المقترحة:

التوصيات والتدخلات المقترحة للحد من ظاهرة التحرش الجنسي لدى أطفال الشوارع المتسولين في لبنان، مع ربطها بأطر نفسية واجتماعية عملية وقابلة للتنفيذ:

- **تدخلات على المستوى النفسي والاجتماعي:**
  - **تأسيس وحدات دعم نفسي متنقلة:**

تُوفّر خدمات علاج نفسي أولي – إسعافات نفسية أولية (psychological first aid) في الأماكن التي ينتشر فيها أطفال الشوارع، بفرق مدرّبة على التعامل مع ضحايا العنف الجنسي.

- **برامج إعادة التأهيل النفسي الاجتماعي**

اعتماد برامج جماعية مثل العلاج بالفن (Art Therapy) ، واللعب العلاجي (Play Therapy)للتعبير عن الصدمات وتفريغ المشاعر المشحونة والأفكار السلبية المكبوتة بطريقة آمنة وانسيابيةٍ بشكل غير مباشر.

- **دعم برامج الصمود النفسي (Resilience Building Programs)**

تستهدف تقوية مهارات التكيف لدى الأطفال مثل : الضبط الانفعالي، الحماية الذاتية، طلب المساعدة، وتعزيز تقدير الذات.

- **تدخلات تربوية ومجتمعية:**
  - **برامج توعوية موجهة للأطفال:**

يجب تصميم حملات تو عوية مبسطة باللغة التي يفهمها الأطفال، تعرّفهم على حدود الجسد، وتُعلّمهم التبليغ والتمييز بين اللمسة الآمنة والمؤذية.

- **برامج تثقيف للأهالي والأوصياء إن وُجدوا:**

توعية المجتمع بشكل عام وهذا يتطلب لجهود حكومية وطيدة تشمل القطاعات التربوية والمجتمعية وعددا من ا لوزارات وبالطبع البلديات والجمعيات الفاعلة، كذلك توعية أفراد الأسر الهشة أو "المسؤولين" عن الأطفال بخطورة التحرش الجنسي قانونيًا ونفسيًا، خاصة عند استخدام الأطفال في التسول أو حتى في الأعمال (تشغيل القصر)

- **دمج الأطفال في مراكز حماية:**

تسهيل دمج الأطفال في مؤ سسات الرعاية أو البرامج المدرسية البديلةلتقليل احتكاكهم بالشارع وتعريضهم للاستغلال.

- **تدخلات تشريعية ومؤسساتية:**

- **سنّ وتفعيل تشريعات صارمة خاصة بالأطفال المتسولين:**

وضع قوانين تعاقب على استغلال الأطفال في التسول والتحرش الجنسي، وتحديد المسؤولية القانونية للمحرّض أو القائم بالرعاية.

- **إجبارية الإبلاغ المؤسسي:**

فرض بروتوكولات على الجمعيات والمنظمات التي تتعامل مع الأطفال لرفع تقارير فورية في حال الاشتباه بحالات تحرش، وفق معايير الحماية الدنيا.

- **تدريب القوى الأمنية والبلديات:**

تدريب العاملين في القوى الأمنية على كيفية ا لتعامل مع أطفال الشوارع باعتبارهم ضحايا، وليس مجرمين، مع التركيز على الحالات ذات الطابع الجنسي.

- **تدخلات بالتعاون مع منظمات المجتمع المدني والمنظمات الدولية:**

- **بناء شراكات مستدامة:**

التعاون مع منظمات مثل UNICEF ، Save the Children لتنفيذ برامج حماية نفسية قانو نية متكاملة.

- **تمويل برامج الوقاية المجتمعية**

دعم مشاريع مجتمعية في الأحياء المهمشة لخلق مساحات آمنةللأطفال، تكون بديلًا عن التسكع في الشارع.

- **رصد دوري لحالات التحرش:**

بناء قاعدة بيانات وطنية لتوثيق حالات العنف الجنسي ضد الأطفال، بالتنسيق مع وزارة الشؤون الاجتماعية والعدل.

الخاتمة:

في ظلّ وطنٍ تتناقص فيه معايير الحماية الاجتماعية وتُكسر فيه أجنحة الطفولة على أرصفة الحاجة، تبرز مأساة أطفال الشوارع المتسولين كجروح مفتوحة في جسد المجتمع اللبناني، لا يُراد لها أن تندمل. لقد كشفت هذه الدراسة عن حجم المعاناة المركّبة التي يعيشها هؤلاء الأطفال، حيث يتقاطع الفقر والتهميش مع دوائر الاستغلال، ويصبح التحرش الجنسي واحدًا من أقسى الوجوه التي تطارد براءتهم وتسرق ملامح طفولتهم.

من خلال رصد الظاهرة بصورة مباشرة وتحليل جذورها، والاعتماد على دراسة ميدانية سابقة، وربطها بدراسات عديدة في ذات السياق، توصلت هذه الدراسة إلى أن غياب الرقابة، هشاشة تنفيذ المواد القانونية، تفكك الروابط الأسرية، وتردي الأوضاع الاقتصادية، وتداعي الأزمات الاجتماعية، تُعد جميعها بيئة خصبة لاستشراء هذا النوع من الانتهاك . كما بيّنت النتائج أن الأثر النفسي والاجتماعي الذي يخلّفه التحرش في نفس الطفل لا يتوقف عند حدود الطفولة، بل يمتد ليشكل شخصيته ومستقبله وانتماءه للمجتمع.

إنّ السكوت عن هذه الفئة لم يعد خيارًا أخلاقيًا، بل صار تواطؤًا ضمنيًا مع الجريمة . لذلك، تدعو هذه الدراسة إلى ضرورة تطوير برامج حماية ميدانية وشاملة، تراعي الأبعاد النفسية والاجتماعية والقانونية، وتُبنى على بيانات واقعية لا على افتراضات مكتبية . كما تحث على تفعيل دور المؤسسات التربوية والإعلامية والاجتماعية في مقاربة وقائية علاجية متكاملة تقوم على فهم الواقع النفسي والاجتماعي والاقتصادي لهؤلاء الأطفال، مع اعتبارهم ضحايا لا جانحين، وهذا يبدأ بكسر حاجز الصمت والتصدي لأصول جذور الظاهرة، لا لنتائجها فقط.

في الختام، تبقى هذه الدراسة نقطة ضوء في نفق طويل، علّها تُسهم في إيقاظ ضمائر المعنيين وتُسهم في استعادة حق الطفولة بالحياة الكريمة، في وطنٍ لا يزال أبناؤه يدفعون أثمان الانهيارات المتكررة . فمن دون تدخل منسق بين القطاعات (الصحة النفسية، التربية، الشؤون الاجتماعية، القضاء)، سيبقى أطفال الشوارع فريسة سهلة لجناة طامعين سواء كانوا من بين أفراد الأسرة أو من الغرباء.

المراجع والمصادر:

✓ **العربية:**

- جمعية حماية. (2022). تقرير حول أوضاع أطفال الشوارع في لبنان: أنماط العنف والتحرش الجنسي والأثر النفسي والاجتماعي . بيروت: جمعية حماية لحماية الأطفال من العنف والإهمال.
- الجمهورية اللبنانية. (2020). القانون رقم 293 لحماية النساء وسائر أفراد الأسرة من العنف الأسري، مع التعديلات بموجب القانون رقم 204 تاريخ 2020/12/30. الجريدة الرسمية اللبنانية.
- حسن، م . (2021). ظاهرة التحرش الجنسي في أوساط المراهقين من المناطق المهمشة : دراسة في مدينة عمّان. المجلة الأردنية للعلوم التربوية، 17(4)، 123–148.
- السالم، ر . (2023). التحرش الجنسي داخل بيئة النزوح : أطفال التسول في مخيمات أربيل . المجلة العراقية لعلم النفس الاجتماعي، 13(3)، 101–125.
- صندوق الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف) ووزارة الشؤون الاجتماعية . (2021). تحليل وضع أطفال الشوارع في لبنان. بيروت، لبنان: صندوق الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف).
- صندوق الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف). (2022). مراجعة قانونية للاستغلال والإساءة والتحرش الجنسي في لبنان : الثغرات والتوصيات . بيروت، لبنان : صندوق الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف).
- علي، ن . (2019). التحرش الجنسي بأطفال الشوارع في القاهرة : دراسة ميدانية . مجلة الدراسات الاجتماعية والإنسانية، 27(2)، 55–78.
- عودة، ر . (2020). الصحة الجنسية والإنجابية للفتيات اللاجئات السوريات المراهقات في لبنان: دراسة نوعية. بيروت، لبنان: الجامعة الأميركية في بيروت، كلية العلوم الصحية.
- الفار، س . (2022). تجربة الفتيات العاملات في الأسواق الشعبية في مواجهة التحرش الجسدي: دراسة ميدانية في مراكش. مجلة دراسات النوع والمجتمع، 8(1)، 65–90.
- كفى (KAFA) ومنظمة أنقذوا الأطفال (Save the Children). (2019). الإساءة الجنسية للأطفال في لبنان: دراسة وطنية عن الانتشار والتصورات . بيروت، لبنان: كفى (كفى للعنف والاستغلال).

✓ **الأجنبية:**

- American Psychiatric Association. (2013). Diagnostic and statistical manual of mental disorders (5th ed.).
- Bandura, A. (1977). Self-efficacy: Toward a unifying theory of behavioral change. Psychological Review, 84(2), 191–215.
- Bandura, A. (1977). Social learning theory. Prentice – Hall.
- Bourdieu, P. (1998). Acts of resistance: Against the new myths of our time. Polity Press.

- Bowlby, J. (1969). Attachment and loss: Vol. 1. Attachment. Basic Books.
- Finkelhor, D. (1985). The traumatic impact of child sexual abuse: A conceptualization. American Journal of Orthopsychiatry, 55(4), 530–541.
- Freud, S. (1905). Three essays on the theory of sexuality. In J. Strachey (Ed. & Trans.), The standard edition of the complete psychological works of Sigmund Freud (Vol. 7, pp. 1–123). Hogarth Press. (نُشرت الأصليّة 1905)
- Gold, W. (1943). The concept of deprivation in child development.
- Herman, J. L. (1992). Trauma and Recovery. Basic Books.
- Mtenje, A., Banda, C., & Phiri, L. (2024). Access to emergency services among sexually abused street children in Zomba, Malawi: Barriers and pathways. African Journal of Child Protection, 6(1), 44–67.
- National Child Traumatic Stress Network (NCTSN). (2021). Understanding Child Traumatic Stress.
- Nilasari, I., Putra, R., & Hadi, S. (2024). STI prevalence and health-seeking behaviors among street children in urban Indonesia. Southeast Asian Journal of Public Health, 11(1), 33–49.
- Sohail, F., Qureshi, M. A., & Khan, N. (2021). Sexual exploitation of street children in urban Pakistan: An exploratory study. International Journal of Child and Adolescent Social Work, 9(3),
- Thompson, J. B. (2023). Symbolic violence: Language and power in the writings of Pierre Bourdieu. In Studies in the Theory of Ideology (pp. 42–72). University of California Press.
- UNICEF. (2019). Children on the Streets: Risks and Protective Factors
- Wilson, J. Q., &Kelling, G. L. (1982). Broken Windows. The Atlantic Monthly.
- Wilson, J. Q., &Kelling, G. L. (1982, مارس). Broken windows: The police and neighborhood safety. The Atlantic Monthly.
- World Health Organization. (2003). Guidelines for medico-legal care for victims of sexual violence. Geneva: WHO Press.
- World Health Organization. (2021). Sexual violence.
- Zenebe, Y., Alemayehu, M., & Tefera, A. (2023). Risky sexual practices among street children in Gedeo Zone, Ethiopia: Prevalence

and associated factors. Journal of Adolescent Health and Risk Behavior, 12(2), 117–132.

الآثار النفسية للحروب على الأطفال في محافظة نينوى.

عمار عواد صالح.
مديرية تربية نينوى /العراق.

The psychological effects of war on children in Nineveh Governorate.

Ammar Awad Saleh.
Nineveh Education Directorate/ IRAQ.

ملخص البحث:

يعيش الفرد العراقي منذ أكثر من (25) عاما حالة حرب مستمرة، تتفاقم يوما بعد الآخر، مسببة بذلك انهيارا للتوازن النفسي والمادي للمجتمع بمختلف افراده ومؤسساته، ومخلفة بذلك آثارا متراكمة على مدى السنيين، فعندما تبدأ الحروب وتنتهي بفعل الاتفاق او اله دنة تبدأ حرب أشد وأعنف من الحرب الأولى وذلك لانها تعمل على ازالة ما خلفته الحرب الاولى اي حرب السلاح من دمار وخراب طالت الابنية والمؤسسات والممتلكات والأبرياء والأنفس .

وهذا يعني أن للحروب الاثار المنظورة وغير المنظورة على المؤسسات الرسمية وغير الرسمية ، وهي تترك اثارها النفسية في عمق الانسان تظهر في المستقبل على شكل سلوكيات غير مرغوب بها

لذا كان هذا البحث، إذ تم بناء مقياس لقياس الاثار النفسية للحروب على أطفال محافظة نينوى بعد أن تم اختيار ثلاث مدارس من المدارس الابتدائية المخت لطة بالطريقة العشوائية البسيطة ، وقد تمت الاستعانة بالمعلمات لتوزيع الاستبيان على الأطفال لتتم الاجابةعن فقرات المقياس من قبل الا هل، وقد تم التوصل الى الاستنتاجات في ضوء نتائج البحث .

الكلمات المفتاحية: الحروب- الأطفال- الآثار النفسية.

Abstract:

Iraqi individual living in more than 25years old, a state of constant war, exacerbated days after the other, causing a collapse of the balance of psychological and physical community in various its members and its institutions, and thus leaving traces accumulated over the Sunnis, when starting wars and ending by agreement or truce begins tougher war and the heaviest of the first war and that it is working for the removal of the first war left any weapons of war and mass destruction of affected buildings, institutions and property and innocent souls.

This means that the effects of the wars visible and non-visible on the official and unofficial institutions, it leaves psychological effects in the depth of man show in the future in the form of unwanted behaviors

So it was this research as it has been building a scale to measure the psychological effects of war on children Ninevehprovince after he was selected three schools of mixed primary schools randomly Statistics, has been the use of parameters for the distribution of the questionnaire on the children is the answer for the paragraphs of the scale by the parents, it has been reached the conclusions in the light of the search results.

Keywords: Wars - Children - Psychological effects.

✓ **تقديم:**

إن الحروب و الاعتداء والتعذيب والفتك بالآخر هي سلوكيات بين بني البشر ومنذ أقدم العصور ، فالعدوان يشكل محور تاريخ الانسانية منذ ظهورها على سطح الأرض، وهو أحد المظاهر الاجتماعية التي لازمت المجتمعات البشرية منذ بداياتها أما في الوقت الحاضر فإن الاعتداء والحروب أصبحت ظاهرة سلوكية منتشرة وبكثرة في أكثر دول العالم والذي عزز من وجوده وجعله يظهر على شكل ظاهرة سلوكية طبيعية هو انتشاره في وسائل الاعلام والفضائيات وفي الحياة الاعتيادية كما في ب لدنا العراق (جودة ، 2009: 42) إلا أن هدف الانسان كان وما زال ه و دفع السلوك الانساني الى تصرف أكثر أخلاقية وأكثر إنسانية وأكثر رحمة بالآخر.

فالحروب والمعارك بين بني البشر من الأ ساليب البدائية التي تتصف بصفة الاجرامية والعنف، والتي تكون نتائج ها سلبية على الفرد والمجتمع معا ، وهي صفة لا تتماشى مع مصالح المج تمعات وأهدافها وذلك لأنها تدمر أمان الشعوب والمجتمعات، لها تتسم به من وحشية وقسوة ضد الآخرين من خلال القتل والضرب والتخريب (الجندي ، 1999: 294).

وفي حقيقة الأمر فإن الدراسات أشارت إلى أن الكوارث التي يصنعها الانسان أكثر تخريبا ودمارا من الكوارث التي تسببها الطبيعة ، فالمعاناة تكون أكبر عندما يكون العداء من الإ نسان إلى أخيه الإنسان وتحديدا بالمقارنة مع ما يحدث أثناء هزة ارضية أو إعصار أو فيضان (المساوي، 2011: 133) فإن من نتائج الحروب هي الوفيات فقد أشارت الدراسات أن نسبة الوفيات التي سببتها الحروب هي اكبر بكثير مما سببته الكوارث الطبيعية وعلى مر التاريخ، كذلك فان الحروب تخلف الاعاقات المختلفة التي تؤثر على اصحابها بشكل كبير وهناك الاثار النفسية للحروب والتي تسمى من الجانب الصحي بآثار ما بعد الصدمة (الشيمي ، 1999: 24) ونحن في عالمنا العربي لا نعطي الاهتمام الكافي بالوسائل المطلوبة لاحتواء رده فعل الأطفال بعد الصدمات ، الا ان المختصين في العلوم النفسية والتربوية اكدوا على اثار الحروب وما يظهر بشكل ملموس على سلوك أجيال كاملة .

فالسلاح الاشد فتكا بالإنسانية اثناء الحروب وبعدها هو التدمير النفسي الذي يدمر التوازن النفسي للمدنيين وتحديدا الأطفال وذلك لأنها تترك اثارا لا يمكن ان يمحوها الزمن و بخاصة للشخص الذي عايش الحرب وعايش الرعب والقلق او فقد احد ذويه او منزله الذي كان يستظل بظله ليجد نفسه في العراء ، فقد اشار (كارل دي روي) احد ممثلي الجمعية العامة لحقوق الطفل للامم المتحدة في العراق ان هناك حوالي (5.7) مليون طفل عراقي في المرحلة الابتدائية وانه من المتوقع ان يكون (10%) منهم بحاجة الى الرعاية والعلاج النفسي جراء الحروب التي تعرض لها العراق .

أما أخصائيو الطب النفسي (د.نعمة البدراوي) فقد أشارت في دراسة لها أن الصدمات التي يتعرض لها الطفل بفعل الانسان أقسى من التي يتعرض لها بفعل الكوارث الطبيعية وأكثر رسوخا في الذاكرة ويزداد الأمر صعوبة إذا كانت هناك فترات متقاربة بين صدمة وأخرى ، لأن الأطفال غالبا لا يعبرون عما في داخلهم وأن الحالة النفسية التي يمرون بها تخزن في العقل الباطن وتسبب في المستقبل مشاكل نفسية عميقة إذا لم يتمكن الأهل والبيئة المحيطة بالطفل من احتوائها ومساعدة الطفل على تجاوزها.

وفي دراسة للأخصائية الاجتماعية (د. ناهدة عبد الكريم) اشارت الى ان الطفل العراقي يشاهد يوميا الارتال العسكرية ومظاهر الحرب في الشوارع وعبر الفضائيات وفي الحياة العامة وفي الوسط الذي

يعيش فيه وفي كل شيء من حوله مما جعل الطفل يعيش حالة من اثنتين : (الحالة الأولى تخيفه وترهبه)، (والحالة الثانية تشجعه على التخويف والإرهاب) وفي كلتا الحالتين فإن الطفل العراقي معرض للمرض النفسي مما يجعله متقلب المزاج ويجعله يفكر دوماً ايهما افضل، السلاح أم الحاجات الأخرى، وفي النتيجة فإن الطفل إذا شعر أن السلاح هو الأفضل فإن هذا سيدفعه إلى خوض المعارك مستقبلا وسيشجع كل من أراد المشاركة في حرب، أما إذا شعر أن حاجات المجتمع هي الأ فضل والأهم فإنه قد يكره هذا المجتمع ويكره أهله ومن حوله وذلك لأنه شاهدهم وهم يتحاربون ويتنازعون أو يشجعون الحرب من حوله (محمد ، 2007: 68) .

ويمكن القول أن كل حرب قامت هي حرب ضد الأطفال أولا لأن هؤلاء الأطفال يدفعون الأ ثمان مضاعفة وذلك لأنهم معرضون للإصابة بالجروح والصدمات الجسدية والنفسية وأنهم معرضون إلى فقدان أسرهم ومعرضين للإصابة بالمجاعة ونقص الاحتيا جات الضرورية من مأكل وملبس واحتياجات طبية وصحية وتحطيم مدارسهم وفقدان استقرارهم وهم بأمس الحاجة اليه وفي الوقت ذاته هم غير قادرين على الدفاع عن هذا الاستقرار أو المطالبة به وفي حقيقة الأ مر أن الخوف على هذه الأجيال من أن تتحول إلى أجيال عنف بسبب ما شاهدوه و ما عايشوه من مظاهر عنف وتخويف وفقدان للأمن والاستقرار والعدل ولأن الأطفال مثل لوحة الكريستال المصقول الذي إن مسته الأيدي الغريبة أدت إلى خرابه وفي بعض الأ حيان دمار كان شعارهم للكبار دور (تحاوروا بدلا من ان تتحاربوا).

- ✓ **أهمية البحث:**

يمكن أن نلخص أهمية البحث الحالي بالنقاط الآتية:

1- إن هذه الدراسة هي الأولى في محافظة نينوى (وبحسب علم الباحث) تبحث في الآ ثار النفسية للحروب على الأطفال.
2- إن مرحلة الطفولة هي من أهم مراحل حياة الإ نسان وإن مقدار ما يشاهد هذا الطفل من خبرات وتجارب في هذه المرحلة تكون الأساس في تكوين شخصيته المستقبلية.
3- إن الحروب وبكل أشكالها لها الاثار السلبية على نفس الإ نسان كائنا ما كان (طفلا أم شابا أم راشدا).
4- إن جميع الأطفال ينمون بشكل ونسق متكامل حتى وإن هددتهم أحداث الحروب.
5- إن وجود الأهل (الأب والأم بشكل خاص) مع الطفل ضرورة ماسة من أجل استكمال نمو الطفل وبشكل خاص اثناء الحروب لإشعارهم بالأمن والد فء) .
6- إن دراسة هذا الموضوع تستحق كل عناية من اجل الحفاظ على كيان الافراد والجماعات الانسانية وبخاصة بعد ظهور مواثيق حقوق الانسان وحقوق الطفل وحقوق المرأة وغيرها من المواثيق الدولية والإسلامية والعربية .
7- وأهمية الدراسة الحالية تظهر من اهمية الموضوع الذي صار يفرض نفسه وبإلحاح على الفكر الانساني وعلى الحس البشري منذ عقود عدة ، وذلك بسبب زيادة الاعتداء على المدنيين في مختلف اقطار العالم والتي تترك الاثار النفسية وتسبب المشكلات التي يصعب التغلب عليها احيانا .

- ✓ **هدف البحث:**

يهدف البحث الحالي الى التعرف على اهم الاثار النفسية للحروب على الأطفال في مرحلة الدراسة الابتدائية .

✓ **حدود البحث:**

يقتصر البحث الحالي على أطفال المرحلة الابتدائية من الصف (الثاني الى الصف الرابع الابتدائية) بعمر (9-12) سنة وذلك لانهم شهدوا مرحلة الحرب المسلحة (الحرب الفعلية) وقد كانوا في السنوات الاولى من حياتهم .

✓ **تحديد المصطلحات:**

- **الحروب:**

عرفها غازي 2010 : هي استخدام العنف والقوة لمحاولة صنع شيء ، او هي التنازع المسلح بين طرفين . (غازي ، 2010: 133)

- **الحروب في هذه ا لدراسة:** هي نزاع مسلح يقوم على استخدام القوة المسلحة باستخدام مجموعات مسلحة منظمة تسمى جيوشا نظامية وأحيانا جماعات شبه نظامية وتسمى (ميليشيا) وتستخدم القوات المسلحة كل الوسائل لألحاق الضرر والأذى بالطرف الاخر في الحروب سواء في قداراته العسكرية او مقدراته المدنية ويتم ذلك عن طريق التدمير المنظم المخطط بالاستعانة بمعلومات عسكرية عن الطرف الاخر تجمعها اجهزة خاصة .

- **عرفها الباحث إجرائيا:** هي كل اشكال العنف والقوة المستخدمة من قبل جهة معينة ضد جهة اخرى مما يسبب الايذاء وعلى اختلاف انواعه للطرف الثاني .

- **التأثير 2005:** هو نوع من الايحاء او الجذب الذي يمكن ان يحدث انفعالا في النفس ، كأن يحاول فرد معين احداث قدرة معينة في نفوس الاخرين او ان يحاول عن طريق التاثير النفسي احداث اعمال تشجبها العادات والتقاليد الاجتماعية او القيام بما يخال القوانين (جرجس ، 2005: 136) .

- **الآثار النفسية في هذه الدراسة:** الاثار النفسية السلبية التي تنتج عن فقدان المقومات الاساسية لعيش الانسان في مجتمعه في ظروف الاحتلال والاعتداء مثل حالات القلق والهذيان وحالات الذهان واضطرابات ذهنية وادراكية وانفعالية وغيرها او التعرض للقصور الجسدي أو العقلي أو لكليهما، مهما كان سن الضحايا وجنسهم.

- **التعريف الإجرائي للآثار النفسية للحروب :** هي الدرجة التي يحصل عليها الطفل من خلال اجابة عن استبانة الاثار النفسية المعد لهذا الغرض .

- **الطفولة 2005 :** هي المرحلة التي تلي الولادة مباشرة ، وتبدا من السنة الاولى من عمر الطفل الذي يصبح بامكانه الجلوس ثم السير ، ويقسم علماء النفس والتربية الطفولة ، الطفولة الى قسمين او مرحلتين ، القسم الاول هي الطفولة الاولى والتي تبدا من السنة الاولى وحتى

عمر أربع سنوات ، أما القسم الثاني فهي تبدأ من عمر الخمس سنوات حتى سن العشر سنوات ومنهم من يرى أنها تصل الى سن الثانية عشرة (جرجس ، 2005: 358) .

- **الأطفال** بحسب تعريف منظمة اليونسيف : هو كل فرد دون سن الثامنة عشر من العمر .

- **الفصل الثاني:**

✓ **الإطار النظري للدراسة والدراسات السابقة**

للحروب نتائج سلبية على الافراد والمجتمعات فهي تخلق جوا من عدم الاستق رار المادي والمعنوي والنفسي وتكون اضرارها على الطبقة المتوسطة والطبقة الفقيرة بشكل اكبر فيقع العبء الاكبر على كاهل رب الاسرة، فإن انقطاع الماء، والكهرباء، و إغلاق المدارس والجامعات والأسواق تخلق جوا من التوترات العصبية النفسية وفضلا عن ذلك ا ستنزاف الموارد المادية والبشرية، وعدم توفر الحاجات الأ ساسية أثناء الحروب وظروف العمل ، وا لصراع، والإحباط، وهي أسباب كافية للأمراض الجسمية والأمراض النفسية مثل: اضطراب العاطفة، والقلق، والاكتئاب، والهياج، والذعر والخوف، والغضب، والعدوانية . وقد تؤدي بالفرد الى الجهل، والتخلف ، والانحراف، والنمو غير السليم، فيكون غير فاعل في مجتمعه وغير مفيد للآخرين، ويكون ضرر الحروب أكبر عند الأطفال فهم الاكثر عرضة للانفعالات النفسية والاضطرابات العاط فية الناتجة عن الحروب مثل القصف، والهدم، وأصوات الانفجار ات، والقتل ومشاهد الدماء، إن كل ذلك ي ولد عند الطفل إحساسا بأنه مستهدف وأنه قد يقتل في أية لحظة وقد يدفعه ذلك إلى الارتباك والخوف .

- أبرز اسباب الحروب:

1- النزاع المستمر من أجل الثروات الطبيعية التي تتمتع بها دولة دون اخرى .
2- الحروب الدينية، مثل الحملات الصليبية التي شنها الاوربيون على بلاد المسلمين .
3 - الاحتلال العسكري والحروب التي تخوضها المجتمعات من أجل التحرير أي تحرير أراضيها ومقدساتها .
4 - حروب التطهير العرقي.
5 - الحروب حول الحدود أوالحروب التوسعية.

- حاجات الأطفال أثناء الحروب أو الاحتلال:

إن البناء العاطفي والجسمي والحسي - حركي والعقلي يحدث للأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة ، ويلعب الوسط الذي يعيش فيه الطفل الدور الرئيسي في وضع اللبنات الاساسية المكونة لطبيعة شخصية الطفل ونضجها الكلي ، ولكي تتحقق الشخصية السوية للأطفال لابد من اشباع مجموعة من الحاجات الاساسية ومعرفة الى اي مدى يمكن ان تؤثر در جة اشباع هذه الحاجات في ظل الحروب والنزاعات والاعتداءات المسلحة وان هذه الحاجات هي :

1- الحاجة إلى الأ من: ويمكن تحقيق ذلك من خلال العلاقات الاسرية المتصفة بالاستقرار ووجود الاتفاق والايجابية عند الابوين .

2- الحاجة إلى الحب : يكون الأطفال دوما بحاجة الى ال حب الامومي والأبوي من اجل بناء توازن نفسي سليم اثناء الازمات والحروب .

3- الحاجة الى اللعب : وهي حاجة طبيعية عند الأطفال لكي تنمو وتتمرن من خلالها قدرات الأطفال الجسمية والعقلية والنفسية .

4- الحاجة الى المدح والتقدير : يكون الأطفال بحاجة دوما الى الاحترا م والتقدير والتشجيع ، وذلك لأنها تكوّن الشخصية الايجابية القادرة على مواجهة الازمات .

وبالتالي فان نقص هذه الحاجات يسبب كارثة انسانية وهي تمثل ابشع المخالفات والانتهاكات للقانون الانساني (اوزي ، 1998: 147) .

اتفاقية حقوق الأطفال

ان للأطفال حقوقاً كما للكبار تماما ، وان مهمة منظمة اليونيسف حماية ومناصرة الأطفال من اجل مساعدتهم على تلبية احتياجاتهم الاساسية وتوسيع الفرص المتاحة لهم من اجل بلوغ الحد الاقصى من طاقاتهم وقدراتهم ، وتعتمد منظمة اليونيسف في مهمتها هذه الاتفاقية الخاصة بحقوق الأطفال والتي تتضمن عدداً من النصوص والقوا نيين وان هذه النصوص تستند الى انظمة قانونية وتقاليد ثقافية متنوعة ، تشكل مجموعة من المعايير والالتزامات المتفق عليها عالميا وغير الخاضعة للتفاوض وهي توضح الحد الادنى من الاستحقاقات والحريات التي يجب على الحكومات احترامها ، وان فقرات الاتفاقية تنطبق على جميع الأطفال وعلى اختلاف اشكالهم وألوانهم وديانـاتهم وأجناسهم وفي كل مكان وزمان وهي تلزم الدول الموقعة على بنودها الالتزام بها وعدم انتهاكها وانها جميعا وحدة واحدة غير قابلة للتجزئة وهي ترتبط مع بعضها ارتباطا وثيقا بحيث من غير الممك ن تقديم الواحدة على الاخرى .

وان هذه الاتفاقية تظم (54) مادة اقرت عام 1990 وكان الهدف الاساسي من وضعها هو حماية حقوق الأطفال وتقديم الامن والرعاية لهم ، والسبب وراء ذلك ان الأطفال غير قادرين على الدفاع عن انفسهم وهم غير ناضجين عقليا وبدنيا وهم بحاجة الى حماية قانونية قبل وبعد الولادة وفي الحالات الاعتيادية وفي حالات الحروب والأزمات ، وكانت عدد المواد التي اكدت على حماية الأطفال هي (7) مواد وكانت تحديدا في المادة :

1- المادة السادسة:

أ- لكل طفل حق اصيل في الحياة

ب- لكل طفل حق البقاء والنمو

2- المادة السادسة عشرة :

أ- لا يجوز ان يجري اي اجراءات تعسفية ضد الأطفال سواء من الاسرة او المحيط .

ب- للطفل حق الحماية ضد هذه الاجراءات التعسفية .

3- المادة التاسعة عشرة :

تتخذ الدول الاطراف كل التدابير من اجل حماية الأطفال من كل اشكال العنف او الضرر او الاسائة البدنية او العقلية او الاهمال او الاسائة الجنسية .

4- المادة السابعة والعشرون:

أ- تعترف الدول الاطراف بحق كل طفل بمستوى معيشي ملائم لنموه البدني والعقلي والروحي والمعنوي والاجتماعي .

ب- يتحمل كل من يقوم برعاية الطفل نفقات توفير الظروف المعيشية المناسبة للطفل .

5- المادة السابعة والثلاثون:

أ- ان لا يعرض اي طفل للتعذيب وان لا تفرض عليه عقوبة الاعدام مهما كانت الاسباب .

ب- لا يحرم اي طفل من حريته بصورة تعسفية وغير قانونية ولا يجوز حبس الأطفال او اعتقالهم.

6- المادة الثامنة والثلاثون:

أ- على الدول الاطراف اعتماد القوانين الانسانية في وقت النزاعات المسلحة .

ب- تتخذ الدول الاطراف كل التدابير من اجل منع الأطفال من المشاركة في الحروب وبشكل مباشر .

7- المادة التاسعة والثلاثون:

تتخذ الدول الاطراف كافة التدابير من اجل مساعدة الأطفال لتحقيق التأهيل البدني والنفسي واعادة اندماجهم الاجتماعي بعد التعرض الى اي شكل من اشكال الاهمال او الاستغلال او التعذيب او اي شكل من اشكال العقوبات الانسانية القاسية اثناء الصراعات والنزاعات المسلحة (اتفاقية حقوق الأطفال ، رقم 260، لسنة 1990)

الآثار السلبية للحرب على الأطفال:

إن للحروب الآثار الاقتصادية والاجتماعية والنفسية السلبية على المجتمعات بأكملها ، وفي دراستنا الحالية سنبحث في الاثار النفسية السلبية للحروب على الأطفال وعلى سلوكهم وعلى علاقاتهم وعلى شخصياتهم مما تترك بصمتها وانطباعاتها السلبية بصورة مباشرة عليهم مما تؤدي الى حالات الانفصام أو ضعف التكيف مع الوسط الذي يعيشون فيه ويتفاعلون معه ، وان اهم هذه الاثار السلبية هي :

1- حرمان الأطفال من العطف والحنان والجو الأسري المناسب .
2- انتشار ثقافة الخوف والقلق والفرار مما قد يعطل الأطفال من مواصلة الحياة بشكل جيد، مما يسبب الاثار النفسية السلبية التي قد تستمر لعدت سنوات .
3- ظهور شعور الحزن والكآبة عند الأطفال .
4- حقد بعض الأطفال وكراهيتهم للكبار لأنهم كما يرى الأطفال سبب العنف والعدوان .
5- الحروب هي من اهم اسباب اعتلال صحة الأطفال النفسية والعقلية .
6- بسبب الحروب يفقد الأطفال الثقة بالآخرين مما يسبب لهم العزلة والابتعاد عن الاخرين من حولهم.
7- الخوف والقلق المزمن من فقدان الاهل والأصدقاء الذي يستمر مع الأطفال اثناء فترت الحرب وبعدها ، مما يدفعهم الى عدم ممارسة انشطتهم الاعتيادية من حيث لعب وترفيه وتعليم وغيرها .

- ***صور وأشكال الاثار النفسية التي تخلفها الحرب على الأطفال:***

أشارت الدراسات والأبحاث العلمية إلى أن الأطفال هم أكثر الفئات تأثيرا بما تخلفه الحروب من اثارا نفسية ، وتظهر هذه الصور في عدة صور هي :

1- الفزع الليلي للطفل،
2- المعاناة والقلق وعدم الراحة،

3- الفوبيا أو الخوف المرضي من الأصوات والظلام،
4- التبول الليلي اللاإرادي على الرغم من الطفل سابقا قد ضبط العملية،
5- ظهور مشكلات في الكلام كالتلعثم او الفقدان الوظيفي للكلام،
6- اضطرابات الاكل وفقدان الشهية للأكل،
7- تعرض الأطفال للانتكاسات الصحية والعقلية.

- ***دور الأهل في تخفيف الآثار النفسية السلبية للحروب على الأطفال:***

أشار الباحثون والاختصاصيون إلى ضرورة أن يكون للأهل دور كبير وفاعل في حماية أطفالهم في حالات الحروب ويمكن أن نلخص دور الأهل في :

1- أن يعمل الأ هل دوما على إشعار أطفالهم بالاطمئنان وعدم تركهم عرضة لمواجهة هذه الظروف لوحدهم.

2- تقديم الدعم النفسي لهم عن طريق الح ديث معهم وبشكل متواصل وإشعارهم أنهم بخير و أنه لن يصيبهم أي ضرر .

3- مناقشة الأطفال بما يجري حولهم وإجابتهم عن الأسئلة التي تدور في أذهانهم .

4- إشعار الأطفال دوما ان الذي يدور من حولهم لا يستهدفهم وأنه سيزول.

5 - إجابة الأطفال دوما عن الاسئلة من اجل التعرف عما يدور في تفكيرهم وعدم ترك الاسئلة تتراكم في اذهانهم (نصار ، 1991: 66)

- **دراسات سابقة:**

✓ **أولا / الكشف عن سلوكيات أطفال الكويت بعد غزو العراق 1995.**

هدفت الدراسة الى الكشف عن سلوكيات الأطفال الذين تعرضوا للغزو، وكانت عينة الدراسة مكونة من (212) طفلا وطفلة تتراوح اعمارهم بين (6-14) سنة . اعتمدت الدراسة مجموعة من الوسائل الاحصائية منها الاختبار التائي ومعاملات الارتباط ، فكانت النتائج هي الخوف من الظلام والخوف من المجهول وعدم القدرة على الابتعاد عن الام والبكاء المستمر فضلاً عن السلوك العدواني لدى الأطفال .

✓ **ثانيا/ آثار العنف الذي تمارسه اسرائيل على ظهور المشكلات السلوكية للأطفال الفلسطينيين 1996.**

هدفت الدراسة الى الكشف عن اهم المشكلات السلوكية للأطفال الفلسطينيين بسبب العنف الذي تمارسه اسرائيل مع الفلسطينيين ، وقد تمثلت العينة بمجموعة من الأطفال بعمر (5- 6) سنوات وقد قامت الباحث بإعداد اداة للكشف عن المشكلات السلوكية لدى الأطفال الفلسطينيين تمت الاجابه عليه من قبل امهات الأطفال فكانت النتائج تشير الى وجود علاقة موجبة بين ومرتفعة بين التعرض للعنف وبين ظهور المشكلات السلوكية لدى الأطفال وبخاصة الذكور منهم .

✓ **ثالثا / الانتفاضة والطفل الفلسطيني تحت الاحتلال 1998.**

هدفت الدراسة الى توصيف الاثار النفسية والاجتماعية للأطفال الفلسطينيين اثناء وقت الانتفاضة الفلسطينية ، وقد تضمنت عينة الدراسة الأطفال بعمر (3-9) سنوات ، وقد اعتمدت الدراسة اداة قام الباحث باعداها لتوصيف الاثار النفسية والاجتماعية للأطفال الفلسطينيين اثناء وقا الانتفاضة ، اما نتائج الدراسة فقد بينت وجود (56،6) % من الأطفال يعانون من قلق الحرب (الركف ، 2005: 489) .

- ✓ **رابعا / قياس اضطراب م ا بعد ضغط الصدمات - صدمات الحرب لدى طلبة جامعة بغداد 2004**

هدفت الدراسة إلى قياس اضطراب ما بعد ضغط - صدمة الحرب لطلبة جامعة بغداد بعد مرور سنة على الحرب ، ومعرفة دلالة الفرق بصدمة الحرب على وفق متغيرات الجنس والتخصص والصف ، وتحقيقا لذلك جرى بناء مقياس لهذا الغرض وذلك بالاعتماد على محك الدليل التشخيصي والاحصائي الرابع للاضطرابات العقلية الخاص بالمحكات التشخيصية لاضطراب ما بعد ضغوط الصدمات . تكونت عينة البحث من (422) تم اختيارهم عشوائيا من جامعة بغداد ، وقد بينت نتائج البحث ان (7،583)% من الطلبة لديهم اعراض صدمة الحرب ، وبينت النتائج ان هناك فروق بين الذكور والاناث لصالح الاناث (الجوري ، 2004: 14- 16) .

- ✓ **خامسا / تأثير الحرب على عينة من رسوم الأطفال في العالم وانعكاساتها الانفعالية 2005.**

هدفت الدراسة الى الكشف عن انفعالات الأطفال عند الحرب من خلال رسومهم وتوضي ح الاختلاف في رسومهم تكونت عينة الدراسة من (15) طفل بين (9-11) سنة من خمس دول هي فلسطين ، فيتنام، أمريكا ، أفغانستان ، العراق ، وكانت نتائج الدراسة تبين انعكاس انفعالات الأطفال على رسومهم وتحديدا باستخدام القوة بالالوان ورسم الرسومات التي تشير الى الحروب كالدبابات والأسلحة وكانت هناك فروق بين رسوم أطفال كل دولة من الدول (الركف ، 2005: 491)

- ✓ **سادسا / أثر الحرب على رسوم الأطفال.**

هدفت الدراسة الى معرفة الاثار التي تركتها الحرب العراقية الايرانية على رسوم الأطفال في اختباراتهم والعلاقة بين مستوى العائلة الثقافي وتلك الاختبارات ومعرفة الفرق بين اختبارات الذكور والإناث ، وقد تكونت عينة الدراسة من (230) طفل وطفلة بعمر (6-10) سنة وقد اعتمدت الدراسة على رسوم الأطفال كأداة للبحث واعتمد المقابلة الشخصية من اجل تحليل رسوم الأطفال وكانت نتائج البحث تبين ان (126) طفل وطفلة اختاروا رسوم تمثل الحرب ، في حين اختار (104) طفل وطفلة رسوم اعتيادية ، وكانت معظم رسومات الأطفال الذكور تمثل المظاهر الحربية ، اما الأطفال الاناث فقد كانت رسومهم اعتيادية (جايد ، 2005: 71)

- ✓ **سابعا / الحاجات النفسية الاجتماعية لدى أطفال العراق في ظل النزاعات المسلحة 2011.**

هدفت الدراسة إلى معرفة الحاجات النفسية الاجتماعية لدى أطفال العراق (المتمدرسين في الدراسة الاعدادية) في ظل النزاعات المسلحة وقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة التحليلي في الدراسة الحالية ، طبقت الدراسة على (130) طفلا وطفلة وكانت نتائج الدراسة تشير الى عدم وجود

فروق تعزى الى متغير النوع وان هناك فروق تعزى الى متغير الفرع الدراسي بين المجموعتين (كريم ، 2011: 415) .

- ✓ **ثامنا / واقع حقوق الأطفال والنساء في اوقات النزاعات المسلحة (دراسة حالة العراق بعد عام 2003)** تكونت الدراسة من مبحثين الاول حول النزاعات المسلحة والذي تكون من مطلبين:

1- مفهوم النزاعات المسلحة.
2- أنواع النزاعات المسلحة.
أما المبحث الثاني فقد تكون أيضا من مطلبين:
1- حماية الأطفال في اوقات النزاعات المسلحة .
2- حماية النساء في اوقات النزاعات المسلحة. (علاء الدين ، 2011: 167-169)

- ✓ **الفصل الثالث:**
  - ***اجراءات البحث:***

اعتمد الباحث في دراستها الحالية المنهج الوصفي التحليلي والذي يعد افضل منهج لتناول مثل هذا الموضوع ، ومن اجل الحصول على وصف وتحليل دقيق لاهم اثار الحروب النفسية على الأطفال في محافظة نينوى .

- ***مجتمع البحث:***

تكون مجتمع البحث الحالي من جميع أطفال المرحلة الابتدائية وبعمر (5-6) سنوات في محافظة نينوى والبالغ عددهم (14882)[1] طفلا وطفلة للعام الدراسي 2010- 2011 م .

- ***عينة البحث:***

اختارت الباحث بالطريقة العشوائية البسيطة مدرستين من المدارس الابتدائية لتمثل عينة البحث وكانت مدرسة العروبة للبنات ومدرسة القطوف الدانية للبنين، لتمثل عينة البحث ، اذ كان عدد الأطفال البنات (30) اما عدد الأطفال الذكور فقد كان (30) ليكون المجموع (60) طفلا وطفلة والجدول رقم (1) يبين ذلك

ت	اسم المدرسة	الأطفال بعمر 7-8 سنوات	الأطفال بعمر 9 سنوات	الأطفال بعمر 10 سنوات	المجموع
1	مدرسة العروبة للبنات	10	10	10	30
2	مدرسة القطوف الدانية	10	10	10	30

[1] بحسباحصائياتمديريةالتربيةمحافظةنينوىللعامالدراسي 2010- 2011 شعبةالاحصاءالتربوي

- ***أداة البحث:***

بعد اطلاع الباحث على الدراسات السابقة الخاصة بالمجال النفسي والتربوي ، قامت ببناء مجموعة من الفقرات لقياس الاثار النفسية للحروب على الأطفال بعمر (7-10) سنوات ، حيث قامت ببناء فقراتها الملحق رقم (1) ثم قامت بعرضها مجموعة من الخبراء والمختصين في المجال التربوي والنفسي ، الملحق رقم (2) ثم قامت بتوزيعها على عينة الدراسة ليتم الاجابة عنها من قبل الامهات .

- ***تطبيق الاستبانة:***

قامت الباحث بتوزيع استبانة الدراسة على معلمات الأطفال وطلبت منهن المساعدة في توزيعها على الأطفال من اجل ايصالها الى الاهل للإجابة عليها ، وقد جرى ذلك خلال الفصل الدراسي الثاني لعام 2010-2011م .

- ***الوسائل الاحصائية :***

لقد تم استخدام الوزن المئوي لاستخراج قيم البحث.

- ***الفصل الرابع: نتائج البحث.***

في نهاية البحث وبعد معالجة البيانات تم التوصل الى النتائج المدرجة في الجداول وبحسب العمر، والجدول رقم (2) يبين أهم الاثار النفسية للحروب على الأطفال (مرتبة بشكل تنازلي) بحسب الوزن المئوي (العشرة الأولى).

الجدول رقم (2):

يبين أهم الاثار النفسية للحروب على الأطفال بعمر (7-8) سنوات (مرتبة بشكل تنازلي) بحسب الوزن المئوي (العشرة الاولى)

ت	الفقرات	النسبة المئوية	الترتيب
1	يشعر بالاطمئنان عندما يكون موجود معك	%26	1
2	يعاند في تصرفاته	%25	2
3	يفضل النوم معك	%23	3
4	ينام بصعوبة اثناء الليل	%20	4
5	يتمارض اذا شاهد احد مريضا	%16	5
6	يتبول في فراشة	%13	6
7	يبكي لأبسط الاشياء	%11	7
8	يفضل اللعب بالمسدسات والطائرات والدبابات	%10	8
9	يشعر بقلق دائما تجاه الاشياء	%8	9.5
10	يخاف من اشياء بسيطة	%8	9.5

من الجدول رقم (2) يتضح لنا ان فقرة (شعور الطفل بالاطمئنان بسبب وجوده مع الام) قد احتلت المرتبة الاولى وبوزن مئوي (26%) قبول وذلك لان ظروف الحرب المفزعة والمأساوية التي

تتجسد بالقصف الجوي والصاروخي العشوائي والذي لازم المدن العراقية ليلا ونهارا ، مما سبب جوا مليئاً بالخوف والهلع والقلق وعدم الاطمئنان الا بوجود الطفل مع احد الوالدين وخصوصا الام .

وإن فقرة (معاندة الطفل في تصرفاته) احتلت المرتبة الثانية وبوزن مئوي (25% قبول) فالأطفال في هذه المرحلة العمرية يريدون التعبير بحرية عن رغباتهم واحتياجاتهم ، الا انه بسبب الظروف غير الاعتيادية فان الطفل يجد نفسه امام او اوامر الاهل وطلباتهم ، مما يدفعه الى معارضة هؤلاء الاهل وهذا المحيط الذي يعيش فيه ، ويرى علماء النفس ان الأطفال يواجهون أزمة كبيرة وهي (أزمة تأكيد الذات) حيث تشكل كلمة (كلا) اجابة الطفل الدائمة تجاه الأوامر الملقاة عليه وان نفذ ما يؤمر به (نصار ، 1991: 131) ، اما فقرة (تفضيل الطفل النوم مع الابوين) فقد احتلت المرتبة الثالثة وبوزن مئوي (23%) قبول فهذا دليل على ان الطفل لا يشعر بالأمن والا ستقرار الا بوجوده مع الام فنلاحظه يبحث عن الامان والاستقرار بأحضان هذه الام في حين يجب ان يكون هذا الطفل مستقر وله كيانه الخاص وغرفة نومه الخاصة .

وكانت فقرة (النوم بصعوبة) في المرتبة الرابعة وبوزن مئوي (20%) قبول فالأطفال يسمعون دوي المدافع والرشاشات يوميا وجوا القلق يخيم على الاسرة وسماع أصوات الصفارات يجعل الطفل غير قادر على النوم بهدوء فضلا عن مشاهدة الاهل وهم في حالة من القلق والخوف على هؤلاء الأطفال ، يجعل الأطفال في حالة نفسية سيئة تسبب صعوبة الخلود الى النوم .

وكانت فقرة (يتمارض اذا شاهد احد افراد الاسرة مريضا) بالمرتبة الخامسة وبوزن مئوي (16%) قبول لأنه من نتائج الحروب هو اعتلال صحة الأطفال الجسمية والنفسية والعقلية ، فمرض احدى افراد الاسرة يعني الاهتمام الزائد والرعاية والدعم المستمر ولان الطفل بحاجة ماسة لهذا الدعم والرعاية فنلاحظه يتمارض من اجل الحصول على هذا الدعم والرعاية او من أجل الحصول على الحب والحنان والعطف الذي هو بأمس الحاجة اليه في هذه المرحلة العمرية .

وكانت فقرة (يتبول في فراشه ليلا) فقد احتلت المرتبة السادسة وبوزن مئوي (13%) رفض وتحديدا بعد ان يكون الطفل قد تجاوز هذه المرحلة العمرية بسبب النضج البايلوجي ، فلم يظهر التحليل ان الأطفال قد فقدوا السيطرة على عملية التبول الارادي .

اما فقرة البكاء لأبسط الاشياء فقد احتلت المرتبة السابعة وبوزن مئوي (11%) فهو تعبير عن الحزن والكآبة التي تخيم على نفس الطفل ويظهر ذلك ببكاء الطفل ولأبسط الاشياء .

وكانت فقرة اللعب بالمسدسات والطائرات والدبابات فقد كانت بالمرتبة الثامنة وبوزن مئوي (10%) فهي من المظاهر الاعتيادية في مجتمع لا يسوده سوى العنف والأسلحة والحروب ، فالألعاب الموجودة في الاسواق والمحال التجارية كلها مظاهر عسكرة وحروب وان ما يتلقاه الطفل من هدايا اثناء اعياد الميلاد وبعد النجاح في المدرسة هي (اسلحة ، دبابات ، طائرات وغيرها من الالعاب) .

ت	الفقرات	النسبة المئوية	الترتيب
1	يفضل اللعب بالمسدسات والطائرات والدبابات	%23	1
2	يغضب لابسط الاشياء	%20	2،5
3	يشعر بالاطمئنان لوجوده معك	%20	2.5
4	يشاهد كوابيس اثناء النوم	18،3	4
5	يعاني من اضطرابات في الشهية	16.6	5.5
6	يعاند في تصرفاته	16.6	5.5
7	يشعر بقلق تجاه الاشياء	15	7
8	يخاف من الجنود والصفارات	13.3	8.5
9	يفضل النوم معك	13.3	8.5
10	يخاف من اشياء بسيطة	13.3	8.5

أما فقرة (الشعور بقلق تجاه الاشياء) وفقرة (الخوف من أبسط الاشياء) فقد احتلتا المرتبة التاسعة وبوزن (9.5%) رفض وهذا يبين ان الطفل يمتلك القوة في مواجهة الظروف وانه يخاف من اشياء محددة وليست اعتباطية .

الجدول رقم (9):

يبين أهم الاثار النفسية للحروب على الأطفال بعمر (9) سنوات (مرتبة بشكل تنازلي) بحسب الوزن المئوي (العشرة الاولى)

من الجدول رقم (3) تبين لنا ان فقرة (اللعب بالمسدسات والطائرات والدبابات) قد احتلت المرتبة الاولى بوزن مئوي 23% قبول لانه من المعروف لدى الجميع ان الأطفال يح بون التقليد اي تقليد سلوك الكبار في كل صغيرة وكبيرة ، ولان الطفل لا يرى من حوله سوى هذه المظاهر ، اصبحت وسيلته في اللعب مع الاقران والأصدقاء ، فهو لا يرى متعة الا في لعب (دور الشرطة ، الجنود ، المصارعات وغيرها) وهذا ما اكدته دراسة القيسي عندما بينت اهم ا لعاب الأطفال في هذه المرحلة العمرية اي مرحلة التعليم الابتدائية هي لعب العسكرة وتحديدا الذكور .

اما فقرة (الغضب لأبسط الاشياء) وفقرة (الشعور بالاطمئنان لوجوده معك) فقد احتلتا المرتبة الثانية وبوزن مئوي (20%) قبول وقد تم تعليل ذلك سابقا وهي حالة طبيعية وتوجد عند جميع الأطفال وفي كل الظروف تقريبا .

اما فقرة (مشاهدة الكوابيس اثاء النوم) فقد احتلت المرتبة الرابعة وبوزن مئوي (18.5) قبول وهذا يكون نتيجة مشاهدة الأطفال الى العديد من مناظر الصراع والنزاع في الحياة الاعتيادية ومن خلال الفضائيات التي اصبح عملها الوحيد هو نقل ما يدور في الشارع وفي ساحات المعركة من اعداد

قتلى وجرحى وبنايات ودور مهدمة وما يسمع من اصوات الانفجار ودوي مدافع ، فهذا سبب مشاهدته للكوابيس اثناء النوم .

واحتلت فقرة (يعاني من اضطرابات في الشهية) وفقرة (يعاند في تصرفاته) فقد احتلتا المرتبة الخامسة وبوزن مئوي (16،6%) قبول ، فبسبب استمرار الحرب قد يكون الاب مشاركاً في جبهة القتال وبعيداً عن الاسرة ، وتكون الام في وضع نفسي سيئ لا يسمح لها برعاية الأطفال والاهتمام بهم وتلبية طلباتهم ، لذا يكون الجو الاسري كله مشحوناً بالقلق والخوف والارتب اك ، مما يؤثر على شهية الأطفال للطعام والشراب ، ومما يؤثر على سلوكهم فيدفعهم دوما الى العناد وعدم الاستماع الى كلام الاخرين ، محاولين بذلك التعبير عما في داخلهم من رفض لما يدور من حولهم .

واحتلت فقرة (الشعور بالقلق تجاه الاشياء) المرتبة السابعة وبوزن مئوي (15%) قبول فالأطفال في هذه المرحلة العمرية لهم قدرة على ادراك ما يدور من حولهم ، فهم يفكرون وبشكل مستمر بأسباب منعهم من ممارسة الالعاب الترويحية وأسباب منعهم من الخروج الى الشارع والى زيارة الاهل والأصدقاء وغيرها من الاشياء التي سببت لهم الحزن والكآبة و للناس من حولهم ، وهذا يدفعهم الى القلق من استمرار العنف ضدهم وضد مجتمعهم .

واحتلت الفقرات (يخاف من الجنود والصفارات) وفقرة (يفضل النوم معك) وفقرة (الخوف من اشياء بسيطة) المرتبة الثامنة وبوزن مئوي (13.3%) رفض لان الجنود من حوله وفي كل مكان ولربما يكون احد افراد الاسرة من بينهم (الاب ، الاخ ، العم او الخال) الطفل في سن (9) سنوات اصبح قادرا على النوم بمفرده بعيدا عن احضان الام وتحديدا اذا كان هناك اخ اصغر فهو يحاول دوما بث الاطمئنان في نفس هذا الطفل ويكون له السند والحماية والدعم ، وأصبحت له القدرة على مواجهة الاشياء وعدم الخوف منها وهو دليل على نمو ونضج الطفل اي انه اصبح يخاف من اشياء منطقية وليست اشياء بسيطة .

الجدول رقم (4):

يبين أهم الاثار النفسية للحروب على الأطفال بعمر (10) سنوات (مرتبة بشكل تنازلي) بحسب الوزن المئوي (العشرة الاولى)

ت	الفقرات	النسبة المئوية	الترتيب
1	يمسك طرف ثوبك خارج البيت	%19	1
2	يعاند في كثير من تصرفاته	%18	2
3	يشعر بالحزن والكابة	%16	3.5
4	يشاهد كوابيس اثناء النوم	%16	3.5
5	يتصرف بشكل عدواني مع الاخرين	%15	5
6	يفضل اللعب بالمسدسات والرشاشات	%13	6
7	يشعر دوما بمغص	%11	7
8	يخاف الصفارات والأصوات العالية	%10	8.5

9	يشعر بالقلق تجاه الاشياء	%10	8.5
10	يقضم اظافره	%7	10

من الجدول رقم (5) تبين ان الفقرة (يمسك طرف ثوبك خارج المنزل) قد احتلت المرتبة الاولى من بين الفقرات وبوزن مئوي (19%) رفض وذلك لان الأطفال في هذه المرحلة العمرية لهم شخصيتهم وكيانهم الخاص البعيد عن الام والأب فهو يعيش داخل محيط من الاصدقاء والرفاق وبخاصة ابناء الجيران ورفاق المدرسة ، وغالبا يكون الأطفال بهذه المرحلة العمرية محاطين باخوة وأخوات اصغر سنا لذلك نجد هذا الطفل او الطفلة هو مساعد للام في الاعمال المنزلية وتربية الأطفال ورعايتهم ، وبخاصة في فترات الازمات والظروف المزعزعة التي يمر بها المجتمع باسره ، فالأم تعتمد عليه في شراء احتياجات المنزل وفي مراقبة الاخوة والاخوات الاصغر سنا في المنزل وبخاصة في حالة غياب الاب او غياب المعيل عن الاسرة .

واحتلت الفقرة (يعاند في كثير من تصرفاتة) المرتبة الثانية وبوزن مئوي (18%) قبول والسبب وراء ذلك تم توضيحه لان الأطفال هم من نفس المرحلة العمرية تقريبا ولهم نفس الصفات والخصائص في الشخصية .

واحتلت فقرة (الشعور بالحزن والكآبة) (يشاهد كوابيس أثناء النوم) المرتبة الثالثة وبوزن مئوي (16%) قبول فبسبب الحروب وويلاتها ومعطياتها السلبية من عوز مادي مستمر وسيطرة اجواء القلق والخوف على الاهل مع غياب احاسيس الحب والحنان الذي يقدمه الاهل جعل الأطفال دوما يشعرون بالحزن والكائبة ومشاهدة اللكوابيس اثناء النوم .

أما فقرة (التصرف بعدوانية مع الاخرين) فقد احتلت المرتبة الخامسة وبوزن مئوي (15%) قبول فالسلوك العدواني اصبح سمة يتميز بها جميع الأطفال تقريبا ، فهو اسلوبهم من اجل تحقيق رغباتهم واحتياجاتهم وذلك يعود بالدرجة الاولى الى ما يدور في محيط الطفل من احداث عنف وايذاء على كافة اصعدة الحياة تقريبا .

واحتلت فقرة (اللعب بالمسدسات والرشاشات والطائرات) المرتبة السادسة وبوزن (مئوي 13%) قبول لان هذه المرحلة العمرية وكما اطلق عليها علماء النفس (بفترة تكوين العصابات) لان الأطفال في هذه المرحلة ال عمرية يكون اهتمامهم الوحيد بتشكيل الصداقات واتخاذ انموذج من المشاهير كي يقتدي به ، ولان حياة الطفل مليئة بمشاهد الحرب والقتال والصراع ، اصبح لعب الأطفال فيما بينهم لا يكتمل الا بوجود هذه المظاهر .

وقد احتلت فقرة (الشعور بمغص) المرتبة السابعة (وبوزن مئوي 11%) قبول لان الأطفال في هذه المرحلة العمرية يتمتعون بدرجة عالية من الاحساس والشعور بما يدور من حولهم ، فبسبب استمرار ويلات الحرب نجد الأطفال لا يعبرون عما يشعرون به من كراهية ورفض لهذه الحرب ، فيظهر ذلك في اعتلال صحتهم وتعرضهم للمغص والم البطن وغيرها من المظاهر الصحية السيئة .

وكانت فقرة (يخاف الأفراد والأصوات العالية) وفقرة (الشعور بالقلق تجاه الأشياء) المرتبة الثامنة وبوزن مئوي (10%) قبول فأصوات الدبابات والصافرات والانفجار المستمرة ليلا ونهارا

مع انقطاع الخدمات الاساسية من ماء وكهرباء شكل مخا وف وقلق عند الأطفال مما جعل هذا الخوف يظهر على مظاهر حياة الأطفال .

وكانت فقرة (قضم الاظافر) بالمرتبة العاشرة وبوزن مئوي (7%) رفض لان قيام الطفل بقضم اظافره هو سلوك طبيعي في حالة الخوف والقلق والارتباك ، ولكن في المراحل العمرية المبكرة اما الأطفال بعمر العشر سنوات فانه يكون قد تجاوز مثل هذه السلوكيات .

الاستنتاجات:

1- إن الاثار السلبية للحروب تصيب الأطفال عموما وبدرجات متفاوتة .
2- إن الأبرياء هم دائما ضحايا الاعمال العنيفة التي تصيب الكثير من المجتمعات .
3- إن وجود الأطفال مع الوالدين يكون سببا مهما في مواجهة الازمات والتحديات .
4- إن الاجابة عن أسئلة الأطفال ومحاولة توضيح ما يدور من حولهم ، وفسح المجال امامهم من اجل التعبير عما في داخلهم يعد سببا مهما من اجل التخلص من الاشياء المتراكمة داخل نفس الطفل .

5- تقبل جميع سلوكيات الأطفال لإنهاء دوما تعبر عما في داخلهم .

التوصيات والمقترحات:

1- إجراء دراسات للتعرف على الاثار النفسية للحروب على الأطفال المراهقين .
2- تقديم الدورات التثقيفية للأهل من اجل محاولة فهم أطفالهم اكثر والتعرف على اهم احتياجاتهم اثناء الحروب .
3- تقديم البرامج التوعية للأهل من خلال الفضائيات العراقية.

- **المصادر والمراجع:**

1- اسماعيل ، محمد حديد (2010) **الاثار النفسية للحروب على الأطفال** www.amajordan .org .man-studiese

2- اوزي ، احمد (1998) **البناء النفسي لشخصية الأطفال خلال الاحتلال والاعتداء على المدنيين** ، الطبعة الاولى ، الدار البيضاء .

3- الركف ، ندى صالح (2005) **تأثير الحرب على عينة من رسوم الأطفال في العالم وانعكاساتها الانفعالية** ، بحث غير منشور ، كلية التربية جامعة الملك سعود .

4- الجواري ، ازهار عبود حسون واخرون (2004) **قياس اضطرابات ما بعد ضغط الصدمات ـ صدمة الحرب لدى طلبة جامعة بغداد** .

5- المساوي ، ادريس (2011) **الازمات النفسية الناتجة عن صدمات نفسية** المركز الجامعي للطب النفسي ، الدار البيضاء المملكة المغربية .

6- الشيمي ، داليا ، **الاثار النفسية للحرب على الأطفال**

http://www.maganin . com/print

7- القيسي ، يسرى عبد الوهاب (2008) **مظاهر العسكرة في رسوم الأطفال** ، الكتاب السنوي لمركز ابحاث الطفولة والأمومة ، المجلد الثالث .

8- الغازي ، عبد العزيز (2005) **الاثار النفسية الناتجة عن الاحتلال والاعتداء على المدنيين** .http:// www. iseco. org .ma / arabe /publications

9- جايد ، عبد الكريم ، **اثر الحرب على رسوم الأطفال** ، دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة .

10- جرجس ميشال جرجس (2005) **معجم المصطلحات التربوية والنفسية** ، المطبعة الاولى -لبنان .

11- جودة ، امال (2009) **العنف وتأثيره على الصحة النفسية للأطفال** ، مجلة ايلاف العدد (315) .

12- عبيدات ، ذوقان (2003) البحث العلمي ، **مفهومه ادواته واساليبه** ، اشراقات للنشر والتوزيع ، جدة .

13- كريم ، وفاء قيس (2011) **الحاجات النفسية الاجتماعية لدى أطفال العراق في ظل النزاعات المسلحة** ، الكتاب السنوي لمركز ابحاث الطفولة والامومة ، المجلد السادس .

14- محمد ، ختام (2007) **تحقيق منشور**، . http;//www.arabiy .com .

15- علاء الدين ، اسراء (2011) **واقع حقوق الأطفال والنساء في اوقات النزاعات المسلحة دراسة حالة العراق بعد عام (2003)** الكتاب السنوي لمركز ابحاث الطفولة والامومة ، المجلد السادس .

16- **البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل المتعلق باشتراك الأطفال في المنازعات المسلحة** ، والذي اعتمدت بموجب قرار صادر عن الجمعية العامة رقم (236) في دورتها 54 في 25 ايار 2000 والنافذ سنة 2002 .

الملحق رقم (1)

م/ استبيان

عزيزتي الام الفاضلة يرجى ملى البيانات قبل الاجابة عن الاستبيان

عمر الطفل .....جنس الطفل .....

تسلسل الطفل بين اخوته .....

محل السكن ضمن الاسرة الصغيرة .....

ضمن الاسرة الكبيرة .....

ISSN: 3085-4814

وجود الوالدين مع الطفل .....

فقد الطفل احد الوالدين .....

ت	الفقرات	دائما	غالبا	احيانا	ابدا
1	يشعر بالاطمئنان عند وجوده معك				
2	يشعر بالخوف عندما يترك وحده				
3	يعاند في تصرفاته				
4	يتمارض اذا شاهد احداَ مريضا				
5	يمص أصبعه				
6	يقضم اظافره				
7	يغضب لأبسط الاشياء				
8	يشعر دوما بمغص				
9	يشعر بصعوبة في التنفس				
10	يشعر دائما بحالة تقيؤ				
11	يعاني من اضطرابات في الشهية				
12	يتصرف بشكل عدواني مع الاخرين				
13	ينام بصعوبة				
14	يشاهد كوابيس اثناء النوم				
15	يفضل اللعب بالمسدسات والطائرات والدبابات				
16	يخاف الجنود ، الصافرات ، والأصوات العالية				
17	يبكي ويغضب لأبسط الاسباب				
18	يشعر بالقلق تجاه الاشياء				
19	يفضل النوم معك				
20	يمسك طرف ثوبك خارج المنزل				
21	يتبول في فراشه				
22	يخاف من اشياء بسيطة				
23	يشعر دائما بالحزن والكآبة				

الهشاشة النفسية والاجتماعية وتأثيرها على ظاهرة جنوح الأحداث المتخلى عنهم: (دراسة نفسية اجتماعية).

د. يسين العمري.

جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء (المغرب).

Psychological fragility and its impact on the phenomenon of " delinquency among abandoned juveniles: (Social psychological " .study)

Dr. Yassine El Amiri.

Hassan II University, Casablanca (Morocco).

ملخص:

تُعدّ الهشاشة النفسية عاملًا حاسمًا في تفسير جنوح الأحداث، خاصةً لدى الفئات المتخلى عن ها أو المحرومة من الرعاية الأسرية. حيث تُظهر العديد من الدراسات أن غياب الدعم العاطفي والتعرض للصدمات المبكرة يُسهمان في تطور سلوكيات منحرفة لدى هؤلاء الأحداث . يهدف هذا المقال إلى تحليل العلاقة بين الهشاشة النفسية وجنوح الأحداث المتخلى عنهم، مع التركيز على العوامل النفسية والاجتماعية المؤثرة، وتقديم توصيات للوقاية والتدخل.

الكلمات المفتاحية: الهشاشة النفسية، ظاهرة جنوح الأحداث، أطفال ومراهقين متخلى عنهم.

Abstract:

Psychological vulnerability is a crucial factor in explaining juvenile delinquency, especially among groups who have been abandoned or deprived of family care. Numerous studies show that the lack of emotional support and exposure to early trauma contribute to the development of deviant behaviors in these juveniles. This article aims to analyze the relationship between psychological vulnerability and juvenile delinquency among abandoned children, focusing on the influencing psychological and social factors, and to provide recommendations for prevention and intervention.

Keywords: Psychological vulnerability, juvenile delinquency phenomenon, abandoned children and adolescents.

مقدمة:

تُعتبر ظاهرة جنوح الأحداث من القضايا الاجتماعية المعقدة التي تؤثر على استقرار المجتمع المغربي أو غيره من المجتمع ات العربية أو على الصعيد العالمي ككلّ . وتتعدّد أسباب هذه الظاهرة، إلا أن الهشاشة النفسية الناتجة عن غياب الرعاية الأسرية والتعرض للصدمات تُعد من أبرز العوامل المؤدية إليها. حيث يُعاني الأطفال المتخلى عنهم من نقص في الدعم العاطفي والتوجيه، مما يجعلهم أكثر عرضة للانحراف السلوكي والاضطرابات النفسية والزيغ عن المعا يير الاجتماعية السوية، ممّا قد يستدعي تدخّل المجتمع لضبطهم، وهو ما من شأنه أن يعرّضهم لإجراءات وقائية أو زجرية بهدف إعادة دمجهم في المجتمع.

وسوف نتناول في هذه الدراسة العلاقة بين الهشاشة النفسية وظاهرة جنوح الأحداث المتخلى عنهم (فئة الأطفال والمراهقين)، من خلال تحليل العوامل النفسية والاجتماعية التي تساهم في انحراف هذه الفئة . حيث سيكون رهاننا أن نحاول أن ن ظهر تأثير الهشاشة النفسية كمتغيّر مستقلّ على ظاهرة جنوح الأحداث المتخلى عنهم كمتغيّر تابع، وهو ما يعني وجود علاقة ارتباطية بين المستقلين.

وعليه، سوف تكون **إشكالية** المقال كالتالي:

كيف يمكن للهشاشة النفسية، بوصفها نتيجة لغياب الدعم الأسري والتعرض للنبذ أو الإهمال، أن تؤثر بشكل مباشر على سلوكيات الأحداث الأطفال والمراهقين وتدفعهم نحو الجنوح؟

وللجواب عن هذه الإشكالية نقترح **الفرضيات** التالية:

- إنّ الهشاشة النفسية تنعكس سلبيا على ظاهرة جنوح الأحداث المتخلى عنهم من أطفال ومراهقين.
- إنّ جنوح الأحداث المتخلى عنهم من أطفال ومراهقين يحدث نتيجة الهشاشة النفسية بمفردها.
- إنّ جنوح الأحداث المتخلى عنهم من أطفال ومراهقين يحدث نتيجة الهشاشة النفسية بالتضافر مع عوامل أخرى.

وللتفاعل مع هذه الفرضيات نطرح **الأسئلة الاستشكالية** التالية:

- هل تؤثّر الهشاشة النفسية في ظاهرة جنوح الأحداث (الأطفال والمراهقين) المتخلى عنهم؟
- كيف تؤثّر الهشاشة النفسية في ظاهرة جنوح الأحداث (الأطفال والمراهقين) المتخلى عنهم؟
- لماذا تؤثّر الهشاشة النفسية في ظاهرة جنوح الأحداث (الأطفال والمراهقين) المتخلى عنهم؟
- إلى أيّ حدّ تؤثّر الهشاشة النفسية في ظاهرة جنوح الأحداث (الأطفال والمراهقين) المتخلى عنهم؟

وتكمن **أهمية هذا المقال** في الجِدّة والراهنية، نظراً لكونه يتناول ظاهرة سوسيو- سيكولوجية خطيرة ومعقّدة لها آثارها السلبية على الأفراد والمجتمع معاً، وهي ظاهرة قديمة جديدة، وتتجدّد وتتطوّر باستمرار مع تغيّر وتطوّر المجتمعات، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي في عصر السماوات المفتوحة، حيث أصبحت الجريمة والانحراف بدورهما يتجدّدان، من هنا كان لزاماً على الباحثين خوض معترك دراسة الأسباب والآثار النفسية والاجتماعية لظاهرة جنوح الأطفال والمراهقين

المتخلى عنهم، وعلاقتها بالهشاشة النفسية، وتأثير هذه الأخيرة عليها، مع اقتراح حلول للحدّ من انتشار هذه الظاهرة.

وبخصوص **أهداف المقال**، يرى الباحث أنّ من شأن هذا المقال أن يساهم في رصد وتحليل أسباب ظاهرة جنوح الأحداث المتخلى عنهم، وأيضاً المساهمة في توضيح الصورة أو تصحيحها بخصوص التمثلات الاجتماعية التي في المخيال الجمعي عن الأطفال المتخلى عنهم، وعن ظاهرة جنوح الأحداث، حيث يتمّ النظر إليهم نظرة سلبية، ويتمّ تحميلهم المسؤولية كاملة، والتنمّر عليهم... إلى آخره من أصناف النبذ والوصم الاجتماعي، في حين يتمّ تغييب دور باقي الأطراف في حدوث هذه الظاهرة وانتشارها، ونقصد الأسرة، الدولة بمختلف مؤسّساتها، الإعلام، المثقفين، الفنانين بمختلف تصنيفاتهم، علماء الدين... الخ، فكلّ هؤلاء يُفترض أنّ لهم مسؤوليات في حدوث هذه الظاهرة وتمدّدها.

كما سنحاول في ختام المقال اقتراح بعض التوصيات الوقائية والعلاجية للتقليل من آثار هذه الظاهرة.

أولًا: المفاهيم:

- ***مفهوم الهشاشة النفسية:***

تشير الهشاشة النفسية كما عرّفها د. عرفة إسماعيل إلى ضعف في البنية النفسية للفرد، مما يجعله أكثر عرضة للاضطرابات النفسية والسلوكية . تتجلى هذه الهشاشة في انخفاض التقدير الذاتي، صعوبة التكيف مع الضغوط، والميول العدوانية أو الانسحابية. تُعد هذه الحالة نتيجة لتراكم عوامل مثل:

- ✓ غياب الرعاية الأسرية.
- ✓ التعرض للعنف أو الإهمال.
- ✓ الصدمات النفسية المبكرة.
- ✓ النبذ الاجتماعي.[2]

- ***مفهوم الحدث والحدث الجانح:***

- ✓ **الحدث في المفهوم الاجتماعي والنفسي :** يراد به الصغير منذ ولادته حتى يتمّ نضجه الاجتماعي والنفسي وتتكامل لديه عناصر الرشد المتمثّلة في الإدراك التام، أي معرفة الإنسان لطبيعة وصِفَةِ عمله والقدرة على تكييف سلوكياته وت صرفاته طبقاً لما يحيط به من ظروف ومتطلبات الواقع الاجتماعي.[3]
- ✓ **الحدث الجانح عند علماء الاجتماع :** هو الشخص الذي يقوم بفعل غير اجتماعي، ويكون مغايراً لما ينتظره المجتمع وينص عليه في قوانينه التي تضبط سلوكيات أفراده.[4]
- ✓ **الحدث الجانح عند علماء النفس :** هو ذلك الطفل ا لذي يعبّر عن مشلعره بطريقة يؤذي بها نفسه أو غيره، وهو بسلوكه هذا يخبرنا أنّه في حاجة ماسّة للمساعدة.[5]

ثانيًا: أسباب جنوح الأحداث المتخلى عنهم:

- إسماعيل عرفة، ***الهشاشة النفسية: لماذا أصبحنا أضعف وأكثر عرضة للكسر*** ؟، دار عصير الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، 2019، ص. 11.

[2]

[3]- امال الزكاف، *التدابير العامة والخاصة لحماية جنوح الأحداث* – دراسة مقارنة- ، 2019. https://www.bibliotdroit.com/2019/08/blog-post_11.html ، اطلع عليه بتاريخ 2025/07/14.

[4] - المرجع نفسه.

[5] - المرجع نفسه.

يشير جنوح الأحداث إلى انخراط القاصرين في سلوكيات مخالفة للقانون أو المعايير الاجتماعية . أما الأحداث المتخلى عنهم ، فنقصد بهم في مقالنا هذا الأطفال والمراهقين الذين يعيشون دون رعاية أسرية، سواء بسبب التخلي، الوفاة، أو الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة. إذ يُعاني هؤلاء من نقص في التوجيه والدعم، مما يزيد من احتمالية انحرافهم السلوكي .

وبخصوص أسباب ومسبّبات ظاهرة جنوح الأحداث قد ركّز بعض العلماء والباحثون الاجتماعيون أمثال بيلمونت وإيريكا غود وجعفر عبد الأمير الياسين والسيد رمضان وغيرهم على عدّة عوامل، سنذكر من بينها فقط عنصرين هامين يفعلان فعلهما في انحراف الأحداث وشدّ هم إلى براثن الجنوح هما: العامل الاقتصاديوالتفكك الأسري.

- ***أولا- العـامل الاقتصادي:***

يساهم العامل الاقتصادي يسهم في التأثير على سلوك الشخص وتكوين اتجاهاته وشخصيته بصورة إجمالية ويلعب بالتالي دورا أساسيا في حياة الأسرة ومدى استقرارها وتماسكها، ذلك أن الوضع الاقتصادي السيئ المترجم بالفقر المد قع أو الدخل المنخفض يؤثر في ترابط الأسرة ويعرض أفرادها لمزيد من التجارب المؤلمة، وقد أيدت الإحصاءات أن أسر الأحداث الجانحين أكثر الأسر انخفاضا في المستوى الاقتصادي، وأن الإجرام يشتد ويتعاظم أثناء الأزمات الاقتصادية حيث تعم البطالة وتقل الأعمال، لأن من الثابت أن الفقر إذا لازم إنسانا جعله يعيش عيشة قلة وحرمان ويحيا حياة ملؤها البؤس والمنغصات فيبادر إلى النضال ومجابهة الصعاب طلبا للرزق الحلال أو ينحرف به الطريق إلى مهاوي الجريمة فيسرق ويعتدي.

وبالإجمال فإن الحياة المستقرة اقتصاديا لا يظهر فيها إلا النادر من حالات جنوح الأحدا ث وهذا يدل بوضوح على أن الحدث الذي يسلك سلوكا مضادا لمجتمعه ليس هو أساس العلة في أكثر الحالات. وعدا عن ذلك فإن الفقر بحد ذاته قد يساهم في أن يضعف الشخصية ويورث الخوف والقلق من المستقبل والحقد على المجتمع ويدفع بعضهم إلى كراهية الدولة ويولد روح ازدراء بالقا نون -ظنا منهم عن خطأ أو عن صواب- أن الدولة لا تعنى إلا بالأغنياء، وأن القانون لم يوضع إلا لحماية الأثرياء في حين يشكل الفقراء عامة الشعب وأكثرية السكان ». وقد جاء في بعض الإحصاءات أن 90% من الجانحين الأحداث ينتسبون إلى أسر فقيرة أو شديدة الفقر.

- ***ثانيا : عامل التفكك الأسري:***

تشكل الأسرة مدرسة الطفل الأولى التي تتعهده وبقدر ما ترعاه وتخطط له المسلك السليم بقدر ما تستقيم حياته عندما يشب عن الطوق ويدخل دنيا المستقبل ولعلنا لا نخطئ إذا قررنا حقيقة واقعة هي أن الأسرة السيئة الحال تمت بصلة وثيقة إلى عالم جنوح الأحدا ث خاصة تلك الأسر التي طغى عليها الانحلال وعدم الاستقرار.

أما مظاهر التفكك الأسري فتتجلى في حالات كثيرة منها:

1- **وفاة أحد الزوجين أو كليهما أو طلاق أحدهما أو في حالة تعدد الزوجات :** فالولد في مثل هذه الأحوال ينتابه شعور بالحرمان من المحبة والعطف فينطلق هائما على وجهه يلتمس تخفيفا عما ألمّ به ويتلاقى في وسط رفاق السوء حيث يتعرض لكافة التجارب والخبرات القاسية المؤلمة.

2- ضعف الصلة بين الحدث ووالديه: وهذا الضعف يتضح عندما يفضل الوالدان بعض أولادهما على البعض الآخر الأمر الذي يخلق روح الحسد والغيرة عنده وتنتابه حا لات نزق وعصبية وتشتد لديه ميول الانتقام.

3- **ضعف التوجيه المنزلي:** يؤكد العالم الكبير برت أن أهم عامل يؤثر في جنوح الأحداث هو ضعف التوجيه المنزلي وجهل الأم وهنا لابد من المرور سريعا بقضية الإهمال وعدم المبالاة قرب العائلة الذي يختفي من حياة الأسرة هربا من مو اجهة مطالبها ومسؤوليتها التي لا تستطيع تحملها تبعا لقلة دخلها، يخلف أبناءه وقد اكتسبوا العادات السيئة واندمجوا في محيط الساقطين .

4 - **القسوة في المعاملة**: تتأرجح معاملة الآباء لأطفالهم بين الشدة والعنف من جهة، والتسامح واللين من جهة ثانية ومنهم من يجمع بين ا لاتجاهين ومنهم من يترك لوليده الحبل على غاربه كما قدمنا، وقد توصل علماء النفس والتربية إلى اعتبار أن جميع تلك الأساليب خاطئة وغير ذات جدوى، وأن خير أسلوب لمعاملة الصغير هو معاملته بفهم صحيح قدر الإمكان والتركيز على قيادته بوعي وبصيرة .

5- **انهيار العامل الأخلاقي وما يرافقه من مشاكل في التربية والتنشئة الاجتماعية وافتقاد النموذج** : وهو بدوره مظهر من مظاهر تفكك الأسرة وقد يكون نتيجة للفقر كالأب الذي تدفعه الحاجة إلى سلوك الجريمة من سرقة أو إنجاز بالمخدرات أو ... الخ .. وكالأم التي تدفعها الحاجة إلى البغاء، فماذا ينتظر من الطفل أو المراهق الذي يعيش في مثل هذا الجو غير السليم؟ ممّا يقوّي فرص ارتلاقه في مهاوي الفساد والجنوح.

تلك هي باختصار نبذة عن العوامل الاقتصادية والتفكك الأسري المؤثر ين في جنوح الأحداث وفي ضوئهما نستنتج أن محاربة هذه المتاهة ليس من خلال البحث وتسليط الضوء على المظاهر السطحية بل معالجة والعمل على محاصرة الأسباب الأساسية حتى يمكن إرساء قواعد الطمأنينة والأمن والمحبة في المجتمعات، مع ضرورة مراعاة خصوصيات كلّ مجتمع وسياقه السوسيو ثقافي والتربوي.

ثالثًا: آليات تأثير الهشاشة النفسية على جنوح الأحداث:

1. **فقدان الشعور بالانتماء :** أظهرت دراسة ياسمينة منايفي (2022) أن غياب البيئة الأسرية الداعمة يُسهم في شعور الأحداث بالعزلة والنبذ، مما يدفعهم للبحث عن الانتماء في جماعات منحرفة.
2. **تدني التقدير الذاتي:** أشارت دراسة نُشرت في مجلة "Science Direct" إلى أن التعرض للإهمال العاطفي والاعتداءات في الطفولة يُؤدي إلى انخفاض التقدير الذاتي وزيادة السلوكيات العدوانية.
3. **التأثر بالجماعات المنحرفة :** أوضحت دراسة نُشرت في "Pub Med" أن الأحداث الذين يعانون من هشاشة نفسية يكونون أكثر عرضة للتأثر بالجماعات المنحرفة، حيث يبحثون عن القبول والانتماء، مما يزيد من احتمالية انخراطهم في سلوكيات جنوح.
4. **غياب النموذج الإيجابي:** أظهرت دراسة نُشرت في "Pub Med Central" أن غياب القدوة الإيجابية والتوجيه الأسري يُسهم في تطور سلوكيات منحرفة لدى الأحداث، حيث يفتقرون إلى النماذج السلوكية السليمة.

رابعًا: نتائج الجنوح على الطفل والمجتمع:

لجنوح الأحداث نتائج كثيرة وخطيرة على الأحداث أنفسهم، وعلى المجتمع ككلّ، وسنجمل فيما يلي أهمّ هذه النتائج:

- **آثار نفسية :** تزايد احتمالية الإصابة باضطرابات نفسية مثل الاكتئاب، القلق، واضطرابات الشخصية.
- **آثار اجتماعية :** نبذ اجتماعي، صعوبة في الاندماج، وزيادة احتمالية العودة إلى السلوكيات المنحرفة.
- **آثار قانونية:** تكرار الدخول في النظام القضائي من خلال تلقي عقوبات وتدابير قانونية في حقّهم، مما يُؤدي إلى وصم اجتماعي دائم .

خامسًا: التمثلات الاجتماعية عن الأحداث الجانحين في المغرب:

إنّ ظاهرة الجنوح في تزايد و تفاقم في فترة يمر فيها المجتمع ال مغربي بما يمكن أن نسمّيه تحولات اجتماعية وثقافية لافتة، حيث أصبح سؤال "القيم" سواء منها الأخلاقية أو الروحية يطرح بقوّة، وسط ما يمكن أن نصفه بازدياد واضح لسيادة القيم المادية على حساب الروحانيات والأخلاقيات والقيم، وهنا يجد الأحداث نفسهم بالرغم من هذه التحولات التي تحدّثنا عنها في أسفل درجات السلم الأخلاقي بالنسبة للمخيال الجمعي الشعبي بالمغرب، حيث أنّ الأقرب للصواب هو أنّ السواد الأعظم من المغاربة لا يزالون ينظرون إلى الأحداث الجانحين نظرة "المتّهم" بل "الجاني"، الشخص قليل الأدب، قليل التربية، الثمرة الفاسدة التي يجب بترها ليرتاح المجتمع من شرها ، وفي سياقات أخرى التعاطف معهم. هذا التصور الذي ندّعي أنّه غير صائب لعدّة اعتبارات من بينها أنّ الحدث الجانح نفسه قد يكون ضحية للمجتمع، فالطفل الصغير غير مسؤول عن تفكّك أسرته، وفي هذا الصّدد لا ندّعي أنّنا نبرّر ما يقوم به الأحداث الجانحون من سلوكيات لا شكّ أنها مخطئة ومجرّمة، ولكن لتكتمل الصورة فقط، وإلا سنكون أمام صورة اهتز فيها المنطق السليم واختلطت فيها الموازين.

فقبل أن ندين الأحداث الجانحين ونصمهم وننبذهم، أو حتى قبل أن نتعاطف معهم، ينبغي طرح السؤال الذي نراه صائباً وهو : لماذا أصبحوا أصلاً ميّالين إلى تدمير الآخر، وحتى تدمير الذات و لو بصورة غير مباشرة؟ هل لأن ظروفهم الاقتصادية هشة فقط؟ هل الصورة الأسرية لديهم تشوهت، و لم يعد النموذج المثالي موجودا أو هو مفقود بالنسبة لهم، وبالتالي تشوّهت البنية القاعدية للأفراد و حتى الخصائص القاعدية للمجتمع لديهم، فأصبح المجتمع في نظرهم مريضاً، وباتت عندهم رغبة ملحّة للانتقام منه؟

فإذا كان الجواب عن الأسئلة السابقة نعم، سنكون من ناحية علم النفس الاجتماعي أمام أفراد يشكون في حقيقة هويتهم و انتمائهم، وباتوا ميالين للاغتراب أو الالتحاق بجماعات منحرفة ظروفها متشابهة معهم بحثاً عن التجانس والائتلاف . ومن ناحية علم النفس الإكلينيكي قد نكون أمام أشخاص من المرجح أنّ لديهم شخصية ضدّ اجتماعية، وقد يصبحون أشدّ خطورة فيما بعد على المجتمع ككل، يصبح أحدهم سادياً أو قاتلا متسلسلاً أو غير ذلك ... كلّ هذه احتمالات نرى أنّه من الصواب استحضارها ونحن نتحدّث عن التمثلات الاجتماعية في مواجهة الأحداث الجانحين.

وندّعي أنّه لإعادة تشكيل صورة او تمثّل سيكو سوسيولوجي أكثر حداثة وإنصافا عن الفئة المذكورة، نرى أنّه من باب أولى تصحيح تصور أفراد تلك الفئة عن مجتمعهم من جهة من خلال تحديد

المسؤوليات أولاً ، فالمجتمع كلّه ليس صورة مكرّرة عن أسرهم المفكّكة (إن كانت كذلك)، وليس الطرف المباشر في تنشئتهم الاجتماعية، ومع ذلك فالمجتمع ليس معفياً من المسؤولية، بل يتحمّل جزءاً منها على الأقل.

ومن جهة أخرى يجب بذل مجهودات لجعل أولئك الأحداث الجانحين يتقبلون ذواتهم و يفهمون مشاكلهم و يعملون على مواجهتها بكل ثقة ، فالعلاج بالتقبل هو أحد الأشياء التي يمكن فيما نزعم الاشتغال به مع هذه الفئة. ولطن دون إغفال المساندة الاجتماعية والم رافقة النفسية لهذه الفئة، وتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية الهشة، ليحصل تأقلمهم مع المجتمع وثقافته وقوانيه وأخلاقياته.

وقد يكون نتيجة لكل هذه ا لتغيرات و المخاضات الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية – إن حدثت- أن تتصحّح صورة الأحداث الجانحين لدى المجتمع، وصورة المجتمع في أعين الأحداث الجانحين، ممّا قد يفيد على على مختلف المستويات ولا سيما التقليل من الآثار المدمرة للجريمة.

سادساً: توصيات للوقاية والتدخل:

- **برامج الدعم النفسي المبكر :** توفير خدمات الدعم النفسي للأطفال المتخلى عنهم - خصوصاً الأحداث الجانحين- للحد من تطور الهشاشة النفسية لديهم.
- **تعزيز الرعاية البديلة:** تشجيع الكفالة لتوفير بيئة أسرية داعمة.
- **التوجيه المدرسي والاجتماعي :** إدماج برامج توعوية في المدارس لتعزيز التقدير الذاتي والانتماء.
- **تكوين وتدريب الأطر المتخصصة في العمل الاجتماعي وفي الدعم النفسي :** تأهيل العاملين في مؤسسات الرعاية للتعامل مع الاحتياجات النفسية للأطفال .

خاتمة:

إن جنوح الأحداث المتخلى عنهم ليس مجرد ظاهرة جنائية، بل هو في جوهره نتيجة لانهيارات نفسية عميقة تعود أساسًا إلى هشاشة نفسية ناجمة عن انعدام الرعاية والاحتواء . ولا يمكن مواجهة هذه الظاهرة بفعالية دون معالجة جذورها النفسية والاجتماعية، من خلال مقاربة شمولية تتكامل فيها الأبعاد النفسية، الاجتماعية، القانونية والتربوية.

وكما بيّنّا، تُظهر المعطيات أنّ الهشاشة النفسية تُعد عاملًا رئيسيًا في تفسير جنوح الأحداث المتخلى عنهم. إذ يتطلب الحدّ من هذه الظاهرة تدخلات متعددة المستويات، تشمل الدعم النفسي، تعزيز الرعاية الأسرية، والتوجيه الاجتماعي. ومن خلال هذه الجهود، يمكن تقليل معدلات الجنوح وتعزيز اندماج هذه الفئة في المجتمع.

لائحة المراجع والمصادر:

1 -منايفي، ياسمينة. (2022). ***العوامل النفسية والاجتما عية المؤدية إلى جنوح الأحداث*** . مجلة دراسات في سيكولوجية الانحراف، 7(1)، 390-404.

2 -حسن، عبد المجيد (2019). ***الانحراف السلوكي عند الأحداث : دراسة نفسية اجتماعية*** . دار الفكر.

3 -الحسن، فاطمة (2021). ***أطفال الشوارع والهشاشة النفسية***. مجلة العلوم الاجتماعية.

4 -منظمة اليونيسف (2022). ***حماية الطفل في بيئات غير أسرية***.

5 -فرويد، سيغموند. (1920). ***الأنا والهو***.

6. Fox, B. H., et al. (2015). ***Growing up with adversity: From juvenile justice involvement to criminal persistence and psychosocial problems in young adulthood***. Science Direct.

7. Chen, X., et al. (2025). ***Psychological process and risk factors of juvenile delinquency: Evidence from a qualitative analysis***. PubMed.

8. Amatya, P. L., & Barzman, D. H. (2012). ***The Missing Link between Juvenile Delinquency and Pediatric Posttraumatic Stress Disorder: An Attachment Theory Lens***. PMC.

دَور الرعاية الاجتماعية في النهوض بوضعية الأطفال المتخلى عنهم وفي تحقيق الأمن الاجتماعي.

سكينة بصار.
جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط.

The role of social care in improving the status of abandonedchildren and achieving social security

bessar Soukaina

Mohammed VI University -Faculty of Letters and Human Sciences – Rabat

ملخص:

تعد ظاهرة الأطفال المتخلى عنهم من الظواهر الاجتماعية التي استفحلت بشكل كبير في المجتمع المغربي، يحدث التخلي عن الأطفال نتيجةظروف اجتماعية واقتصادية ونفسية متعددة، مثل الفقر التفكك الأسري، الحمل خارج إطار الزواج، هؤلاء الأطفال الذين ليس لهم أي ذنب ولم يختاروا أن يأتوا لهذه الحياة ولا اختاروا آبائهم، يجدون نفسهم متخلى عنهم في قارعة الطريق أو يتم إيجاد ط فل رضيع في حاوية قمامة أو بجانبها وغير ذلك من الوضعيات التي تدخل الطفل في خانة المتخلى عنهم، وهذا ما يؤدي إلى حرمانهم من أهم مقومات النمو السليم وهي: النمو في كنف الأسرة. وتتجلى خطورة الظاهرة في آثارها العميقة على نمو الطفل النفسي والعاطفي، وعلى فرص اندماج ه في المجتمع مستقبلاً. من هنا تبرز أهمية الرعاية البديلة ودور مؤسسات الحماية الاجتماعية في توفير بيئة آمنة تحفظ كرامة هؤلاء الأطفال وتكفل لهم حقهم في الحياة والحنان والأسرة وتحقق لهم الأمن النفسي والاجتماعي.وهذاهو ما جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء عليه.

الكلمات المفتاحية: *الأطفال المتخلى عنهم، الأطفال المهملين، الرعاية الاجتماعية، الأمن الاجتماعي ، المصلحة الفضلى للطفل، الأطفال في وضعية صعبة.*

Abstract:

The phenomenon of abandonedchildrenis one of the social issues that has significantlyworsened in Moroccan society.Children are abandoned as a result of various social, economic, and psychologicalcircumstances, such as poverty, family breakdown, or pregnancyoutside of marriage. Thesechildren, who are innocent and had no choice in comingintothis world nor in choosingtheir parents, oftenfindthemselvesabandoned on the side of the road or discovered as infants in trash bins or nearby — amongotherheartbreaking situations thatcategorizethem as abandoned.This leads to theirdeprivation of one of the most essential components of healthydevelopment: growing up within a

family.The severity of thisphenomenon lies in itsprofoundeffects on the child'spsychological and emotionaldevelopment, as well as on their future ability to integrateinto society. Hence, the importance of alternative care and the role of social protection institutions becomeevident, as theywork to provide a safeenvironmentthatpreserves the dignity of thesechildren, guaranteestheir right to life, affection, and family, and ensurestheirpsychological and social well-being.This isprecisely what this study aims to shed light on.

Key words :Abandoned children, Neglected children, *Social* care ,Social security ,the *best interest of the child, c*hildren in difficult situations.

مقدمة:

تعد ظاهرة الأطفال المتخلى عنهم من الظو اهر الاجتماعية التي استفحلت بشكل كبير في المجتمع المغربي، يحدث التخلي عن الأطفال نتيجةظروف اجتماعية واقتصادية ونفسية متعددة، مثل الفقر التفكك الأسري، الحمل خارج إطار الزواج، هؤلاء الأطفال الذين ليس لهم أي ذنب ولم يختاروا أن يأتوا لهذه الحياة ولا اختاروا آبائهم، يجدون نفسهم متخلى عنهم في قارعة الطريق أو يتم إيجاد طفل رضيع في حاوية قمامة أو بجانبها وغير ذلك من الوضعيات التي تدخل الطفل في خانة المتخلى عنهم، وهذا ما يؤدي إلى حرمانهم من أهم مقومات النمو السليم وهي: النمو في كنف الأسرة. وتتجلى خطورة الظاهرة في آثارها العميقة على نمو الطفل النفسي والعاطفي، وعلى فرص اندماجه في المجتمع مستقبلاً. من هنا تبرز أهمية الرعاية البديلة ودور مؤسسات الحماية الاجتماعية في توفير بيئة آمنة تحفظ كرامة هؤلاء الأطفال وتكفل لهم حقهم في الحياة والحنان والأسرة وتحقق لهم الأمن النفسي والاجتماعي.وهذاهو ما جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء عليه.

ومن أجل إبراز دور الرعاية الاجتماعية في تحسين أوضاع هذه الفئة من الأطفال وتحقيق الأمن لهم وللمجتمع؛ ستجيب الدراسة عن الأسئلة الآتية:

- **من هم الأطفال المتخلى عنهم؟**
- **ما مفهوم الرعاية الاجتماعية؟**
- **ما مفهوم الأمن الاجتماعي؟**
- **وما هو القانون الذي يؤطر هؤلاء الفئة من الأطفال؟**
- **هل التشريعات الوطنية حققت مبدأ المصلحة الفضلى للطفل؟**
- **ما هو الدور الذي تلعبه الرعاية الاجتماعية وماهي الخدمات التي تقدمها لفائدة هؤلاء الأطفال**
- **ماهي الإكراهات والصعوبات التي تواجه مؤسسات الرعايةِ الاجتماعية؟**
- **كيف تحقق الرعاية الاجتماعية الأمن الاجتماعي**
- **كيف للرعاية الاجتماعية أن تحقق الأمن للأطفال المتخلى عنهم؟**

- **كيف تحقق الرعاية الاجتماعية الأمن للمجتمع؟**

ولدراسة هذا الموضوع سأتبع خطة العمل الآتية:

المبحث الأول: الأطفال المتخلى عنهم:

المطلب الأول:من هم الأطفال المتخلى عنهم؟

المطلب الثاني: ما هو القانون الذي يؤطرهم؟

المطلب الثالث: هل التشريعات الوطنية حققت مبدأ المصلحة الفضلى للطفل ؟

المبحث الثاني: دور الرعاية الاجتماعية في النهوض بوضعية الأطفال المتخلى عنهم:

المطلب الأول:ما المقصود بالرعاية الاجتماعية.

المطلب الثاني: الخدمات التي تقدمها مؤسسات الرعاية الاجتماعية الخاصة بالأطفال في وضعية صعبة (مؤسسة بيتي للأطفال في وضعية صعبة انموذجا).

المطلب الثالث: ماهي الإكراهات والصعوبات التي تواجه مؤسسات الرعاية الاجتماعية.

المبحث الثالث: دور الرعاية الاجتماعية في تحقيق الأمن الاجتماعي:

المطلب الأول: ما المقصود بالأمن الاجتماعي.

المطلب الثاني:دور الرعاية الاجتماعية في تحقيق الأمن الاجتماعي.

المحور الأول: الأطفال المتخلى عنهم:

المطلب الأول: مفهوم الأطفال المتخلى عنهم:

الطفل المتخلى عنه أو الطفل المهمل كما جاء في القانون رقم: 15.01 المتعلق بكفالة الأطفال المهملين الصادر بالظهير الشريف رقم 1.02.172 في فاتح ربيع الآخر 1423 الموافق ل 13 يونيو 2002

هو:"الطفل من كلا الجنسين الذي لم يبلغ سنه ثمان عشرة سنة شمسية كاملة إذا وجد في إحدى الحالات التالية:

1) إذا ولد من أبوين مجهولين، أو ولد من أب مجهول وأم معلومة تخلت عنه بمحض إرادتها؛
2) إذا كان يتيما أو عجز أبواه عن رعايته وليست له وسائل مشروعة للعيش؛
3) إذا كان أبواه منحرفين ولا يقومان بواجبهما في رعايته وتوجيهه من أجل اكتساب سلوك حسن، كما في حالة سقوط الولاية الشرعية، أو كان أحد أب ويه الذي يتولى رعايته بعد فقد الآخر أو عجزه على رعايته منحرفا ولا يقوم بواجبه المذكور إزاءه"[6].

[6]- قانون الجنسية والهجرة وإقامة الأجانب بالمملكة المغربية مع القانون الجديد للحالة المدنية وقانون كفالة الأطفال المهم لين، إعداد وتقديم: عبد الكريم كمران مؤلف وناشر مختص في القانون، الطبعة الأولى: 2022- 2023، ص: 77.

وقد اختار المشرع لهؤلاء الفئة الهشة من الأطفال اسم الأطفال المهملين كما مر معنا وذلك لأن؛ كل طفل متخلى عنه فهو طفلمهمل؛ لأنه متروك بدون حول ولا قوة دون رعاية، إم ا في قارعة طريق أو في أي مكان من الأمكنة مؤسسة أو أيا كان، في حين أنه يوجد أطفال في كنف والديهم لكن دون اهتمام ورعاية فهؤلاء أيضا عمليا متخلى عنهم، لأنهم في أيدي من لا يتحملون مسؤوليتهم ولا تقدم لهم العناية والرعاية، إما لمرض هؤلاء الوالدين أيا كان هذا الم رض أو انحرافهم أو أنهم غير قادرين على تلبية أدنى حاجيات أطفالهم؛مما يفقدهم الأهلية القانونية التي تخول لهم الولاية على أطفالهم وحضانتهم.

إذن فالأطفال المتخلى عنهم فئتين، فئة معلومي النسب والفئة الأخرى مجهولي النسب.

المطلب الثاني: القانون المتعلق بالأطفال المتخلى عنهم:

كما ذكرنا سابقا القانون فإن القانون الذي يحمي وينظم شؤون هؤلاء الأطفال وهم فئة هشة وخاصة في المجتمع؛ ولذلك تلزمهم رعاية وعناية خاصة بما يتعلق بهم من حقوق لضمان تحقيق العدالة لهم.

هو القانون 15.01 المتعلق بكفالة الأطفال المهملين. الصادر بالظهير الشريف رقم 1.02.172 في فاتح ربيع الآخر 1423ه (13 يونيو 2002).

المطلب الثالث: هل التشريعات الوطنية حققت مبدأ المصلحة الفضلى للطفل المتخلى عنه؟

- **أولا: ما المقصود بمفهوم المصلحة الفضلى للطفل؟**

كثيرا ما يأتي على أسماعنا مصطلح "المصلحة الفضلى للطفل " في مجال حقوق الطفل، وفي اتفاقية حقوق الطفل الدولية جاء في المادة الثالثة منها:

"في جميع الإجراءات التي تتعلق با لأطفال، سواء قامت بها مؤسسات الرعاية ا لاجتماعية العامة أو الخاصة، أو المحاكم أو السلطات الإداريةأو الهيئات التشريعية، يولي الاعتبار الأول لمصالح الطفل الفضلى.

تتعهد الدول الأطراف بأن تضمن للطفل الحماية والرعاية ال لازمتين لرفاهه، مراعية حقوق وواجبات والديه أو أوصيائه أو غيرهم من ا لأفراد المسؤولين قانونا عنه، وتتخذ، تحقيقا لهذا الغرض، جميع التدابير التشريعية والإدارية اللاهئة.

تكفل الدول ا لأطراف أن تتقيد المؤ سسات وا لإدارات والمرافق المسؤولة عن رعاية أو حماية الأطفال بالمعايير التي وضعتها السلطات المختصة، وال سيما في مجالي السالمة والصحة وفى عدد موظفيها وصالحيتهم للعمل، وكذلك من ناحية كفاءة الإشراف"[7].

[7]- المادة 3 من اتفاقية حقوق الطفل.

المصلحة الفضلى للطفل مفهوم فضفاض تتجاذبه عدة اعتبارات لذلك نجد أنه قد لاقى قديما وحديثا جدلا كبيرا حول تحديده وتحديد خصائصه وما ينطوي تحت رايته، فنجده قد تناوله العديد من الباحثين كموضوع للدراسة. من هذه الدراسات ما يلي:

- "L'intérêt Supérieur de l'enfant de l'analyse littérale à la portée philosophique" Jean Zermatten
- **"المصلحة الفضلى للطفل هم جديد في حقل التشريع المغربي "، لمحمد كرادة**، باحث بسلك الدكتوراة. وهو بحث منشور في جريدة الصباح، 2004-03-1219.
- **"المصلحة الفضلى للطفل "، لأديبة بواضيل**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون الخاص وحدة الأسرة والطفولة ص 78 - (2005- 2006).
- بحث بعنوان **"المصلحة الفضلى للطفل والآفاق المنتظرة من إصلاح مدونة الأسرة المغربية"** للباحث اعويش مصطفى، باحث بسلك الدكتوراة . وهذا البحث منشور بالمجلة العلمية المحكمة: HNSJ-مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية بتاريخ: 2024/02/01م.
- والدراسات حول مضوع المصلحة الفضلى للطفل كثيرة، لكن أخص بالذكر كآخر دراسة، بحث بعنوان : **"الإطار المفاهيمي للمصلحة الفضلى للطفل على ضوء اتفاقية حقوق الطفل1989 وبعض الاتفاقيات الدولية"**، للباحثة بشرى برا طالبة باحثة بسلك الدكتوراة. وهو بحث منشور في مجلة المعرفة، بتاريخ ماي 2024.

في الدراسة التي قام بها السويسري jean zermatten حول مفهوم المصلحة الفضلى للطفل استخلص مايلي:

"L'intérêt supérieur de l'enfant est un instrument juridique qui vise à assurer le bien-être de l'enfant sur les plans physique, psychique et social. Il fonde une obligation des instances et organisations publiques ou privées d'examiner si ce critère est rempli au moment où une décision doit être prise à l'égard d'un enfant et il représente une garantie pour l'enfant que son intérêt à long terme sera pris en compte. Il doit servir d'unité de mesure lorsque plusieurs intérêts entrent en concurrence"[8].

جون زرماتن في دراسته ذات البعد الفلسفيلهذا المفهوم "المصلحة الفضلى للطفل " حاول أن يستخلص تعريفا يتسم بالموضوعية وما توصل إليه ويعتبره رأيا قابلا للدحض نظرا لكون مفهوم المصلحة الفضلى للطفل مفهوم فضفاض . يقول: وهذه ترجمة للنص أعلاه الذي باللغة الفرنسية، المصلحة الفضلى للطفل هي: "الأداة القانونية التي تسمح بتحقيق رفاه الطفل على المستوى البدني والنفسي والاجتماعي، ويحمل الواجب على المؤسسات والهياكل العمومية والخاصة للتحقق من أن هذا المعيار تم أخذه بعين الاعتبار عند اخذ قرار في شأن الطفل وأن يضمن أن تكون مصلحة الطفل على المدى البعيد،كما يجب أن يكون وحدة القياس عندمايكون هنالك تنافس بين عدة مصالح".

[8]- Jean Zermatten, L'intérêt Supérieur de l'enfant de l'analyse littérale à la portée philosophique, p:15.

إذن فالمصلحة الفضلى للطفل هي مبدأ من أهم المبادئ فيما يتعلق بحق الطفل والأ ساس التي تبنى عليه جميع المقتضيات التي تخص حقوق الطفل، والمقصود به باختصار وبشكل مجمل أن تكون جميع القرارات التي تؤخذ في الوضعيات التي يعد الطفل طرفا فيها أو تعنيه بشكل مباشر تصب لصالح الطفل وتراعى فيها مصلحة الطفل أولا.

- **ثانيا: هل راعى الدستور المصلحة الفضلى للطفل المهمل أو المتخلى عنه.**

المغربسطر مجموعة من المقتضيات التي تضمن حقوق الطفل داخل أسرته ومجتمعه في التشريعات الوطنية، ابتداءً من الدستور المغربي فمدونة الأسرة والقانون الجنائي، وغيرهما .أما بالنسبة للأطفال المتخلى عنهم بصفة نهائية أو المهملين الذين لا يتحمل الوالدين مسؤولية رعايتهم ويتركونهم للتشرد والضياع، والتي تعتبر وضعيتهم صعبة واستثنائية وتحتاج إلى مزيد اهتمام

في الدستور المغربي لم يأت ذكر الأطفال المتخلى عنهم أو المهملين بالذكر ، لكن جاء في الفصل 32 ما يلي:"الأسرة القائمة على علاقة الزواج الشرعي هي الخلية الأساسية للمجتمع. تعمل الدولة على ضمان الحماية الحقوقية وا لاجتماعية وا لاقتصادية للأسرة، بمقتضى القانون، بما يضمن وحدتهاواستقرارها والمحافظة عليه اتسعى الدولة لتوفير الحماية القانونية، والاعتبار الاجتماعي والمعنوي لجميع الأطفال، بكيفية متساوية، بصرف النظر عن وضعيتهم العائلية

التعليم الأساسي حق للطفل وواجب على الأسرة والدولة
يحدث مجلس استشاري للأسرة والطفولة"[9].
كما تمّ ذكره سابقا فللدستور لم يخص بالذكر الطفل المتخلى عنه أو المهل لكن أدخله ضمنيا في الجملة:
"تسعى الدولة لتوفير الحماية القانونية، و الاعتبار ا لاجتماعي والمعنوي لجميع الأطفال، بكيفية متساوية، بصرف النظر عن وضعيتهم العائلية"[10]
وجاء الفصل 35: تسهر الدولة على ضمان تكافؤ الفرص للجميع، والرعاية الخاصة للفئات الاجتماعية الأقل حظا".[11]

مما يعني أن الدولة تركت أمر هؤلاء الفئة لمؤسسات الرعاية الاجتماعية، لذلك اهتمت الدولة بهذه المؤسسات لتهتم هي الأخرى بهذه الفئات.

- **ثالثا: هل راعت مدونة الأسرة المصلحة الفضلى للطفل المهمل أو المتخلى عنه.**

مدونة الأسرةكذلك لم تولي اهتماما كبيرا لهؤلاء الفئة من الأطفال، حيث تمت الإشارة لهم فقط في المادة 232 والتي على أن : "في حالة وجود قاصر تحت الرعاية الفعلية لشخص أو مِؤسسة، يعتبر الشخص أو المؤسسة نائبا شرعياللقاصر في شؤونه الشخصية ريثما يعين له القاضي مقدما"[12].

[9]- الفصل 32 من دستور المملكة المغربية.
[10]- جزء من الفصل 32 من دستور المملكة المغربية.
[11]- جزء من الفصل 35 من دستور المملكة المغربية.
[12]- المادة 232 من مدونة الأسرة.

نستخلص إذا أن الدولة لم تترك هؤلاء الفئة للضياع وحاولت تقديم الرعاية لهم من خلال المؤسسات، وكذلك من خلال سن قانو ن كفالة الأطفال المهملين. وسنرى في الجزء المخصص لمؤسسات الرعاية الاجتماعية كيف أنهم يوفرون لهؤلاء الأطفال الرعاية اللازمة من تطبيب ومأوى ومأكل ومشرب والتعليم والتكوين وغير ذلك من الأمور، وذلك من أجل تحقيق العدالة والمساوات لهم من أجل أن ينخرطوا هم كذلك في المجتمع ويخرجوا من دائرة التهميش.

ونستخلص من كل هذا أن سن هذا النظام المؤسساتي وتلك المقتضيات الموجودة بكل من الدستور ومدونة الأسرة ولقانون الخاص بكفالة الأطفال المهلين دليل على مراعاة التشريعات الوطنية لمبدأ المصلحة الفضلى لهؤلاء الفئة من الاطفال. إذ أن المصلحة الفضلى كما رأينا سابقا هي: الأداة القانونية التي تسمح بتحقيق رفاه الطفل على المستوى البدني والنفسي والاجتماعي، ويحمل الواجب على المؤسسات والهياكل العمومية والخاصة للتحقق من أن هذا المعيار تم أخذه بعين الاعتبار عند اخذ قرار في شأن الطفل وأن يضمن أن تكون مصلحة الطفل على المدى البعيد،كما يجب أن يكون وحدة القياس عندمايكون هنالك تنافس بين عدة مصالح"[13].

وسنرى في المبحث التالي المجهودات التي تقوم بها هذهالمؤسسات الرعاية الاجتماعية بشكل مفصل.

- **المبحث الثاني : دور الرعاية الاجتماعية في النهوض بوضعية الأطفال المتخلى عنهم:**
  - **المطلب الأول: الرعاية الاجتماعية:**

- **أولا: المفهوم:**

"تعتبر مؤسسات الرعاية الاجتماعية بنيات للاستقبال غايتها الرعاية والحماية للأشخاص في وضعية صعبة أو غير مستقرة، أو في وضعية احتياج، سواء كانت هذه الوضعيات دائمة بالنسبة للبعض أو مؤقتة بالنسبة للآخ ر. وقد عرفت هذه المؤسسات استقطاب أهل التطوع والإحسان، حيث اشتغلت أغلبها تحت مسمى "الخيريات" [استبدلت الخيريات في المنظومة الحالية بمؤسسات الرعاية الاجتماعية] التي قامت بالاستقبال والتكفل وضمان الخدمات "للنزلاء"[النزلاء صفة استبدلت بالمستفيدين] على مدى عشرات السنين"[14].

- **ثانيا: أنواع مؤسسات الرعاية الاجتماعية:**

"وتتوزع مؤسسات الرعاية ا لاجتماعية، كام يتبني ذلك من الدليل، إ لى دور الأطفال والفتيات، ودور للطالبة والطالب، ودور الأمومة، ودور الأشخاص المسنين، ومراكز للنساء في وضعية صعبة، ومراكز لرعاية ا لأطفال المهملين، ومراكز للطفولة في وضعية صعبة، ووحدات حامية الطفولة، ومراكز للأشخاص في وضعية إعاقة، ومراكز اجتماعية متعددة الوظائف، ومراكز الإيواء طلبة المدارس العتيقة"[15].

---

[13]- Jean Zermatten, L'intérêt Supérieur de l'enfant de l'analyse littérale à la portée philosophique, p : 15.

[14]- تقرير عام حول مؤسسات الرعاية الاجتماعية، المملكة المغربية وزارة التضامن والمرأة والتنمية الاجتماعية، دجنبر 2013، ص: 11

[15]-دليل-مؤسسات-الرعاية-الاجتماعية-المرخصة، المملكة المغربية، وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية، الطبعة الثانية : أكتوبر 2015، ص: 7.

- **ثالثا: دور هذه المؤسسات:**

"وتقوم هذه المؤسسات بدور حيوي في تلبية احتياجات فئات الاجتماعية واسعة من المواطنات والمواطنين يصل عددهم إلى 87132 مستفيدا ومستفيدة، مما يشكل دعامة كبرى تنضاف إلى مجهودات المؤسسات العمومية في مجال محاربة الفقر والهشاشة وتحسين الولوج للخدمات الاجتماعية. وتقدم هذه الشبكة من المؤسسات خدمات متنوعة، إما كلية أو جزئية حسب نوع المؤسسة والفئات المستهدفة من خدماتها ووفق الأنظمة التي تحكمها، والتي تتمثل، أساسا، في الاستقبال والإيواء والإطعام والتتبع النفيس وشبه الطبي والتربوي"[16].

المطلب الثاني: مؤسسة الرعاية الاجتماعية "بيتي":

- **تمهيد:**

اعتمدت الباحثة في هذا المطلب على أداة المقابلة ، حيث ذهبت إلى مركزاستقبال الأطفال في وضعية صعبة "بيتي" المتواجد بعين الشق ، وذلك في تاريخ : 13/06/2025. هناك التقيت بالسيد علي أيمن الذي يشتغل كمربي بالجمعية ، وأجرينا حوارا دام لهدة ساعة إذ طرحت عليه مجموعة من الأسئلة، لهدف التعرف على المؤسسة وعلى الأدوار التي تقدمها لفائدة هؤلاء الأطفال، وكيفية استقطابهم لهؤلاء الفئة من الأطفال، ولأعرف كذلك الصعوبات المتعلقة بعملهم.

- **أولا: التعريف بالجمعية:**

جمعية بيتي للأطفال في وضعية صعبة:

Association bayti pour l’enfance en situation dificille

هي مركز لاستقبال الأطفال في وضعية صعبة توجد بالدار البيضاء وهي مرخصة من طرف الدولة، رقم رخصتها: 13/761بتاريخ: 04/07/2013 توجد بمنطقة عين الشق في شارع القدس. وتوجد ثلاثة مراكز تابعة للجمعية، واحد في منطقة البرنوصي، ومركز بمدينة الصويرة ومركز بمدينة القنيطرة.

المركز الموجود بمدينة الصويرة وهذا المركز الموجود بمدينة الدار البيضاء مراكز نهارية تستقبل المستفيدين في النهار لكنهم لا يبيتون بالمركز، أما المركز الموجود بمنطقة البرنوصي والموجود بمدينة القنيطرة فهما للإيواء حيث تتحمل المراكز مسؤوليتهم بشكل كامل . وتعمل معهم بشكل يوميومستمر.

يتكون مركز عين الشق من حيث الأطر من:

- ✓ المنسقة: السيدة خديجة خليف؛
- ✓ المسؤول على برنامج الشارع: السيد مصطفى أسمر؛
- ✓ المربي: السيد علي أيمن؛
- ✓ المربي: السيد ناصر ياسين،

[16]-دليل مؤسسات الرعاية الاجتماعية المرخصة، المملكة المغربية، وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية، الطبعة الثانية أكتوبر 2015، ص:7.

- ✓ المربي: السيد نوار محمد،
- ✓ وثلاثة عاملات مكلفات بالتنظيف والطبخ.

- **ثانيا: الخدمات التي يقدمها مركز بيتيللرعاية الاجتماعية لفائدة المستفيدين:**

❖ **مخرجات المقابلة التي أجريتها مع السيد علي أيمن:**

✓ **الخدمات التي يقدمها المركز للمستفيدين:**

مركز بيتي المتواجد بمنطقة عين الشق في شارع القدس هو مركز نهاري يستقبل المستفيدين في الفترة النهارية، ويقدم لهم مجموعة من الخدمات الفورية تتعلقب المأكل والمشرب والملبس والاستحمام والتطبيب... كما يقوم المربيين بمجموعة من الأنشطة التربوية والثقافية التي تنمي وتربي في هؤلاء الأطفال المهارات الاجتماعية؛ إذ من خلال تلك الأنشطة يقوم السادة المربيين بضبط سلوكيات الأطفال وتقويم تعاملاتهم ويمررون لهم مجموعة من القيم والأخلاق.

ويحرص المركز كذلك في إطار الخدمات طويلة الأمد على تقديم حلول مستدامة لكل طفل حسب حالته، مثلا الأطفال الذين يمكنهم العودة إلى الصفوف الدراسية يساعدونهم على تسوية وضعهم.وأيضا تقديم الدراسة غير النظامية كحل بديل للأطفال الذين انقطعوا عن در استهم، واقتراح بعض التكوينات المهنية على آخرين كالتكوين في الحلاقة أو الطبخ أو الخياطة.

والمركز يعمل بجد على محاولة التصدي لهذه الظاهرة بشتى الطرق حتى تنخفض نسبة هؤلاء الأطفال على الأقل.

الأطفال الذين يتواجدون بالمركز في الغالب تكون روابطهم الأسرية منقطعة كما عبر الأستاذ علي أيمن؛ لذلك يحاول الفريق فيما يخص الأطفال الذين لهم والدين العمل على الوصول لهما والقيام بعملية الوساطة بينهم وبين الطفل . يقدمكذلك الفريق مساعدة للوالدين وذلك بتأسيس مشروع يذر عليهم بالدخل، ويستمر الفريق في تتبع الحالة لضمان أن الطفل سي تلقى الرعاية اللازمة. كذلكيأتي للمركز أطفال لأمهات عازبات عاطلات عن العمل،يعمل الفريق على الوصول إليها ويقترح عليها مشروع ما ويفتحونه لها لضمان أن طفلها أو طفلتها لن يعاني مجددا من الإهمال والتشرد.

كما أشار لي الأستاذ علي أيمن على مؤسسة تدعى "مزرعة المدرسة" المتواجدة بالقنيطرة وهي تابعة لجمعية بيتي تقدم الإيواء والمأكل والمشرب يقترحها الفريق على بعض الأطفال . في هذه المدرسة يتلقى الطفل تكوينا لمدة ستة أشهر ويحصل على شهادة معتمدة تمكنه من العمل في المجال.

- **آلية الاستقطاب وطريقة اشتغال الفريق:**

يقوم الفريق باستقطاب هؤلاء الأطفال عن طريق **جولات**يقومون بها في الشوارع، يقومون بجولة في الفترة الصباحية وأخرى في الفترة المسائية.

يحضرونهم إلى المركز ويقدمون لهم العناية اللازمة، بحيث يستمر الأطفال بالعودة إلى الجمعية حيث أنهم يجدون فيها الملاذ الآمن، وتعطيهم أملا في الحياة ، ويستمر الفريق الذي يشتغل في المركز ببناء الثقة بينهم وبين الأطفال بحيث يفصح الأطفال عن التفاصيل المتعلقة بهم إن كانت، والتي تعين الفريق على إيجاد وتقديم وتطبيق الحلول المناسبة لكل طفل حسب وضعيته.

من الطرق التي يعمل بها الفريق إرسال مساعدة اجتماعية، واستعمال الوساطة فيما بين الطفل ووالدته أو والديه حتى لا تكبر الفجوة بينهم؛ لأن من بين الحلول الجدرية التي يعتمدها الفريق إصلاح العلاقة الأسرية بالنسبة للأطفال الذين توجد لديهم عائلة.

- **ثالثا: الإكراهات والصعوبات:**

من الإكراهات والصعوبات التي تواجه الفريق اختفاء ا لطفل بعد أن يكونون قد قطعوا شوطا طويلا معه؛ واختفاء الطفل يكون إما لأنه اعتقل أو عاد إلى الشارع والمخدرات أو أنه لجأ للهجرة غير الشرعية.

كما أنهم يجدون صعوبة مع بعض الأطفال حول إقناعهم بالعودة إلى منازلهم، وكما قال الأستاذ علي أيمن "لا يمكن أن تعطي للطفل م حفظة وكتب وتقول له اذهب لتدرس وهو منقطع عن أسرته ويعاني من التشرد"؛ لذلك من الإكراهات والصعوبات التي يجدونها أن يمتنع الطفل عن العودة إلى بيته، أو أن لا تنجح عملية إرجاعه للبيت لأي سبب كان.

كما يجد الفريق صعوبة في تسوية أوضاع الأطفال المجهولين من الناحية ا لقانونية، إلا أنهم يعملون بجد إلى أن يحققوا المطلوب.

المبحث الثالث: دور الرعاية الاجتماعية في تحقيق الأمن الاجتماعي:

تمهيد:

تلعب الرعاية الاجتماعية دورا مهما في سد الثغور النفسية والاجتماعية لدى الأطفال المتخلى عنهم . وتسهم في تحقيق الأمان لديهم وذلك ما يعز ز شعورهم بالأمن الاجتماعي ويحقق ذلك الأمن للمجتمع أيضا؛ إذ ينخرطون في المجتمع ويخرجون ومن عالم التشرد والعزلة، الرعاية الاجتماعية تهتم بهم كأفراد وتوفر لهم احتياجاتهم فتسهم بذلك في أنها تحقق لهم العدل والمساواة، وهذا يسهم لا محالة في أن يكون هؤلاء الأطفال مستقبلا مواطنين صالحين . وكما قيل: "لاوجود للمجتمع السليم دون الفرد السليم"[17].

فماالمقصود بالأمن الاجتماعي؟ وكيف تؤثر الرعاية الاجتماعية في تحقيق الأمن الاجتماعي؟

وكيف ينعكس ذلك على الفرد والمجتمع؟

المطلب الأول: ما المقصود بالأمن الاجتماعي:

الأمن:"هو الطمأنينة والاطمئنان بعدم توقع مكروه في الزمن الحاضر والآتي ...وضده الخوف الذي يعني الفزع، وفقدان الاطمئنان"[18]، وكما يكون الأمن في الضرورات والحاجات المادية يكون كذلك في الأمور المعنوية والنفسية والروحية، وكما يكون للفرد فإنه يكون للاجتماع الإنساني العام "[19]، الاجتماعي: هذه الكلمة"تمتد بآفاق هذا الأمن إلى كل ميادين حياة الإنسان، فالاجتماعي وصف للسلوك أو الموقف تجاه الآخرين ...وهو يعني المواقف التي فيها تأثير متبادل بين فرقاء تربطهم روابط وعلاقات"[20]

"فالأمن الاجتماعي هو الطمأنينة التي تنفي الخوف والفزع عن الإنسان فردا أ و جماعة، في سائر ميادين العمران الدنيوي"[21].

المطلب الثاني: دور الرعاية الاجتماعية في تحقيق الأمن الاجتماعي:

كما مر معنا فإن الدستور وهو القانون الأسمى في البلاد أولىأمر الاعتناء بهؤلاء الفئة من الأطفال إلى مؤسسات الرعاية الاجتماعية، ورأينا في المبحث المتعلق بمركز "بيتي" المجهودات التي يقوم بها المركز وهذا المركز هو بمثابة عينة عن باقي المراكز التي تستقبل الأطفال في وضعية صعبة وتقدم لهم ما تقدم من مساعدة وخدمات ورعاية وإيواء وغير ذلك، ومما لا شك فإن هؤلاء الأطفال قبل أن تستقبلهم هذه المراكز يكونون في حالة عد م أما بل يكونون في خوف مستمر لا يتوفرون على أبسط الحقوق وهذا يجعلهم في معاناة مستمرة وعرضة للكثير من المخاطر والآفات كالاغتصاب وتعاطي المخدرات والاعتداءات يجعلهم هذا عرضة للاستغلال بجميع أنواعه، وهذا لا محالة تكون له مخاطر وخيمة عليهم فكل ذل أما سيأثر على عقلهم فيذهبه، أو أن ذلك سيؤثر على نفسيتهم فيجعلهم أشخاصا

[17]- المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، الموسم الثقافي لشهر رمضان لسنة 1374 (2006م)، المحاضرة الثامنة عشر بعنوان: الأمن الاجتماعي والعولمة للدكتورة فائزة الباشا أستاذة جامعية بكلية القانون-جامعة الفاتح، ص: 5

[18]- الإسلام والأمن الاجتماعي، د. محمد عمارة، الطبعة الأولى: 1998، دار الشروق، ص: 5.

[19]- نفسه، الصفحة نفسها.

[20]- نفسه، ص: 11.

[21]- نفسه، ص: 12.

غير أسوياء، وبهذا سينتشر في المجتمع المجانين والمرضى النفسيين، وستتكاثر ظواهر مثل السرقة والجرائم وسينعدم الأمان في المجتمع.

فالرعاية الاجتماعية التي تقدمها هاته المراكز تقدم خدمة كبيرة لهؤلاء الأطفا ل باعتبارهم أفرا، وتقدم بذلك خدمة جليلة للمجتمع ككل.

هؤلاء الأطفال بعد تحسين أوضاعهم يشعرون بالأمان، وبتحقق مطالبهم يشعرون بالعدل والمساوات وهذا يجعلهم ينخرطون في المجتمع ويكونون كباقي الأطفال وتبعا لذلك فإن المجتمع يراهم كباقي الأطفال لأن تلك المظاهر كال تشرد والسرقة وغير ذلك التي تجعل المجتمع يتحاشاهم، يكونون تخلصوا منها بفضل هاته الجمعيات.

قائمة المصادر والمراجع:

1) قانون الجنسية والهجرة وإقامة الأجانب بالمملكة المغربية مع القانون الجديد للحالة المدنية وقانون كفالة الأطفال المهملين، إعداد وتقديم : عبد الكريم كمران مؤلف وناشر مختص في القانون، الطبعة الأولى: 2022- 2023

2) L’intérêt Supérieur de l’enfant de l’analyse littérale à la portée philosophique" JeanZermatten

3) دستور المملكة المغربية.
4) مدونة الأسرة المغربية.
5) اتفاقية حقوق الطفل.
6) تقرير عام حول مؤسسات الرعاية الاجتماعية، المملكة المغربية وزارة التضامن والمرأة والتنمية الاجتماعية، دجنبر 2013، ص: 11
7) دليل-مؤسسات-الرعاية-الاجتماعية-المرخصة، المملكة المغربية، وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية، الطبعة الثانية: أكتوبر 2015، ص: 7.
8) المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، الموسم الثقافي لشهر رمضان لسنة 1374 (2006م)، المحاضرة الثامنة عشر بعنوان: الأمن الاجتماعي والعولمة للدكتورة فائزة الباشا أستاذة جامعية بكلية القانون-جامعة الفاتح، ص: 5
9) الإسلام والأمن الاجتماعي، د. محمد عمارة، الطبعة الأولى: 1998، دار الشروق، ص: 5.

"ذكاء اللغة والخطاب ودهاء الإيديولوجيا في الانتقال من حوار الثقافات الى أطروحة الصراع والهيمنة الثقافية".

الدكتور سعيد أرديف، أستاذ باحث بجامعة محمد الأول، وجدة- المغرب.
فتيحة سحيمي، طالبة باحثة بسلك الدكتوراه، جامعة محمد الأول، وجدة-المغرب.

"The Intelligence of Language, Discourse, and the Cunning of Ideology in the Transition from Intercultural Dialogue to the Thesis of Cultural Conflict and Hegemony"

Dr. Said Ardif, Research Professor at Mohammed I University, Oujda, Morocco.
Fatiha Shimi, PhD Student, Mohammed I University, Oujda, Morocco.

الملخص:
لا شك أن المجتمعات البشرية كما الأفراد تماما، بحكم ارتقائها في النوع تنحو نحو التواصل والتفاهم والتعايش والسلم، لكن بحكم غريزتها فهي لا تخلو أيضا من النزوع إلى الصراع والرغبة في الهيم نة ونفي الغير بغرض تثبيت الذات وضمان البقاء . فإذا كانت الحضارات القديمة قد عرفت صراع الإمبراطوريات الزراعية الكبرى في العصور البدائية، وتلتها فترة نزول الرسالات السماوية التي ساقت العالم إلى حوارات الأديان في العصور الوسطى، فإن السعي وراء مراكمة الأموال في ظل الصراعات التجارية والاقتصادية سيعود من جديد في العصر الحديث وفي الأزمنة المعاصرة، مما سيمكن القوى الكبرى في العالم من اكتشافات جغرافية وقارية مهمة كانت السبب في حلول حقبة جديدة من الثورات والحروب والأطماع الاستعمارية التي وسمت الدول الإمبريالية، ما إن تخلص منها العالم حتى آل إلى الحرب الباردة والصراعات الإيديولوجية التي أفرزت بدورها أخطر أنواع التنافس والاحتكاك، وأضحى بعدها الرهان الثقافي والعولمة الثقافية حاضرين بقوة.
إنها سيرورة تاريخية لمختلف الحضارات والثقافات الإنسانية وهي تعج بالاحتكاك والتنافس إ لى حد الصراعات والحروب، لتتبوأ الحضارة الغربية فيها موقع القوة، وفي تطور هذه الأخيرة وتقدمها باتت تلوح بقيم التنوير والحوار والتعايش والتعاون والسلم والأمن وغيرها من المفاهيم والخطابات الحداثية الرنانة، لكن في عمقها وجوهرها تسعى إلى ترويج أخرى مبطنة لتستمر في السيادة والتحكم والغلبة من خلال خطابات الغزو والهيمنة واستخدام شتى أنواع العنف وأشكاله وتوظيف الاليات التكنولوجية للرفع من حدته وإذكائه بتقنيات الإعلام والاتصال. هكذا يشتد الصراع وتنكشف الثقافات التي تحن إلى العودة إلى بربريتها من جديد.
ارتأينا مقاربة هذا الموضوع من خلال الإشكالات التالية:
-ما الخلفيات المؤطرة لتعدد الثقافات واختلافها؟ وما العناصر المحركة لتاريخ صراعاتها؟
-وكيف تم توظيف اللغة والخطاب في ضبط وقراءة المشهد الثقافي وتوجيه صيرورته؟
المفاهيم المفتاحية: الحوار/ التعايش- الصراع /العنف -الثقافة .

Abstract:

There is no doubt that human societies, just as individuals, are moving towards communication, understanding, coexistence and peace, but by virtue of their instinct they are also a tendency to conflict, a desire to dominate and exile others for the purpose of self-determination and ensuring survival. If ancient civilizations had known the struggle of great agricultural empires in primitive times and followed by the descent of the heavenly messages that led the world to medieval religious dialogues, we find also the trade and economic conflicts will resume in modern times and in contemporary times for accumulation of funds which will be able the world's major Powers to make significant geographical and continental discoveries that were the cause of a new era of revolutions, wars and colonial ambitions that characterized imperialist States, No sooner did the world get rid of it than the cold war and ideological conflicts were started, which in turn gave rise to the most dangerous types of competition and friction, after which cultural betting and globalization became strongly present.

It is a historical perspective of various human civilizations and cultures and it is teeming with friction and competition to the point of conflicts and wars for Western civilization to assume the position of power, and in the latter's evolution and progress, the values of enlightenment, dialogue, coexistence, cooperation, peace and security and other modern and resonant concepts and speeches are being waved. in its depth and essence, however, it seeks to promote others that are veiled to continue sovereignty, control and predominance through rhetoric of invasion and domination, the use of various types of violence and its forms, and the use of technological mechanisms to lift its intensity and feed it into information and communication techniques. That is how conflict intensifies and cultures that are eager to return to their barbarity are exposed again.

This is how we thought to approach this subject through the following problems:

- What are the backgrounds of multiculturalism and diversity? What are the drivers of the history of their conflicts?
- How has language and discourse been used to control and read the cultural landscape and guide its determination?

Key-words: Dialogue/coexistence - conflict/violence - culture/civilization.

مقدمة

إن الحديث عن الحوار أو الصراع الثقافي عبر التاريخ يقتضي منا تحليلا شموليا وإدراج الموضوع ضمن مختلف فروع العلوم الإنسانية والعلوم التقنية والحقة على السواء، وضمن مباحث متعددة للمعرفة والفكر الإنساني مستعينين بكل مناهج الأبحاث العلمية على اختلافها.

نطرح على سبيل المثال لا الحصر جحافل اللسانيين وعلماء الثقافة والاجتماع الذين أسهبوا في دراسات الثقافة والحضارة والحوار والصراع وغيرها من المفاهيم ذات الصلة، بحثا عن دلالاتها المفاهيمية وتتبعا لتطورها وانزلاقاتها - خاصة حين يتم نقلها من بيئة ثقافية إلى أخرى- ، وكشفا لمختلف البنى المشكلة لها ووظائفها الاجتماعية والثقافية.

كما نجد المؤرخين والمفكرين قد تأملوها وما يفتؤون يبحثون في خلفياتها وأبعادها وتداعياتها الأنطولوجية والإبستيمية و العناصر المحركة لها عبر التاريخ للخلوص إلى دور الانسان في تاريخ حوار الثقافات أو صراعها؛ لنطل أخيرا على مختصي علوم السياسة والقانون الذين يتباينون في طروحاتهم بين منظرين قد أفردوا كتبا ومجلدات في المجال، لبسط الطريق أمام مختلف الاتفاقيات والسياسات العالمية سعيا لخلق نموذج تواصلي كوني يرتكز على منطق العقل والحق والعدالة بين الافراد والأمم والشعوب من جهة، وبين ممارسين للسياسة والقانون وماسكين بزمام السلطة الذين يجنحون إلى الصراعات والحروب بدعوى القوة والغلبة وبدافع الهيمنة.

إن أهمية البحث في مواضيع الثقافة و الحضارة والحوار أو الصراع راجع إلى كونه محط اهتمام الإنسان ومتعلق بوجوده، بل يعد الانسان نفسه عنصرا محوريا في كل عملياته. فاستمرار النوع البشري يقتضي تحقيق التعايش بين الأفراد على اختلاف فراداتهموتمايزاتهم، وبين الجماعات باختلاف خصوصياتها العرقية والثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها، ومهما تفاقمت الاختلافات فإن ضرورة العيش المشترك تقتضي بالضرورة الارتقاء في مدارج المدنية والبحث عن سبل التعايش الإنساني السلمي ونبذ العنف والصراع، وتلك هي الأطروحة التي نسعى إلى الدفاع عنها في متم هذا البحث الذي سنجريه وفق التصميم التالي:

_ مدخل.

I. إشكاليات البحث:

II. مفاهيم مفاتيح في البحث:

1. مفهوم الثقافة
2. مفهوم الحضارة

III – ذكاء اللغة والخطاب في الانتقال من حوار الثقافات إلى أطروحة الصراع والهيمنة الثقافية

1. ذكاء اللغة والخطاب بين الحوار الثقافي/ الحضاري ومأزق الايديولوجيا
2. ذكاء اللغة والخطاب بين الحوار الثقافي/الحضاري ومأزق العولمة

_ خاتمة.

مدخل:

يقصد بحوار الحضارات أن يخف التوتر بين الشعوب في حوار على مستوى الثقافة بعيداً عن السياسة ومشاكلها والاقتصاد وهمومه. ولا بد في مجتمعاتنا التي تتزايد تنوعا يوما بعد يوم من ضمان التفاعل المنسجم والرغبة في العيش معا فيما بين أفراد ومجموعات ذوي هويات ثقافية متعددة ومتنوعة وديناميةة.

ولا بد من الاعتراف بالتنوع الثقافي بصفته مكونا أساسيا للحقوق الإنسانية، رغم كون مساره المديد يتسم بالنزاعات في ظل التعريفات المادية للثقافة والتفاعلات وظواهر الإ ثقاف أو التثاقف التي طبعت حياة المجتمعات، ثقافة عابرة للدول ثم عولمة ثم تكور في ظل التطور الفائق للتقنية ووسائل الاعلام وتكنولوجيا الاتصال والتواصل ولا بد من الوعي بمأزق التواصل والحوار المفضي الصراع وتعميق الاختلاف والحرص على إيجاد فرص التفاهم والائتلاف بدل الصراع والاختلاف وذلك ل تيسير التعايش وتحقيق المبادلات الثقافية وازدهار القدرات الإبداعية التي تغذي الحياة العامة والخاصة.

I. إشكالات البحث ورهاناته:

إن موضوعا دسما من قبيل البحث في الحوار أوالصراع الثقافي والحضاري هو موضوع ذو شجون ينفتح على كثير من الفروع العلمية والمعرفية، كما تتجاذبه مختلف المدارس والاتجاهات العلمية المتضاربة، وهو بهذا الامتداد يفترض حصر الموضوع وضبط مادته المفاهيمية، إذ لا بد من رصد مفاهيم الثقافة والحضارة والحوار والصراع وغيرها من المفاهيم ذات العلاقة، ثم تتبع مختلف قضايا الحوار والصرا ع عبر التاريخ واستعراض أهم مظاهرها اعتمادا على نماذج وشواهد حية نوردها من خلال كتب ومؤلفات تعنى بموضوع البحث من جوانب لغوية وثقافية وحضارية وتاريخية وغيرها، منطلقين من الإشكالات الآتية:

ما مفهوم الثقافة؟ وما مفهوم الحضارة؟ وما الخلفيات الفكرية التي تحكم تع ريف المفهومين في الثقافة الغربية وفي الثقافة العربية الإسلامية؟

هل تصمد تعريفات الباحثين الأكاديميين لمفهومي الثقافة والحضارة وما يتعلق بها من مفاهيم متناسلة (مثل التعدد الثقافي والتنوع والهوية الثقافية والتواصل والحوار الثقافي ...) حين يتم تنزيلها إلى حيز الممارسة والتطبيق وحين يتم استعمالها من طرف الحكام والساسة؟ ألا يطالها بعض التحريف عن جادة الصواب حين تصطدم بمأزقي الإيديولوجية والعولمة التي بدأ صداها يتسع مع تطور تكنولوجيا التواصل وتقنيات الإعلام والاتصال، وتؤثر بالتالي على علاقة الذات بالغير أو الآخر المختلف ثقافيا؟

ما طبيعة العلاقة بين الذات والغير / الآخر؟ هل يطبعها القبول والاعتراف بالغير /الآخر المختلف ثقافياالمؤدي إلى الائتلاف، أم يطبعها النفي وعدم الاعتراف والنفور المفضي إلى تعميق الاختلاف والخلاف؟ وما الأصل في العلاقات الاجتماعية البشرية؟ هل هو ا لصراع والعنف والاضطراب، أم التعايش والسلم والاستقرار الحضاري؟

وما الأسباب الكبرى التي كانت وراء نشوب الصراعات والحروب الضارية بين مختلف الحضارات والثقافات والشعوب الإنسانية وبخاصة منذ الثورة الصناعية إلى اليوم؟ وهل هناك من فرص الحوار والتواصل الثقافي/ الحضاري لتحقيق التعايش والسلم ليعم الإنسانية جمعاء؟

II- مفاهيم مفاتيح في البحث :

1. مفهوم الثقافة:

يصعب وضع تعريف مفهومي اصطلاحي للثقافة ذلك أن "دلالاتها تقوم على التوظيفات في شتى المجالات والأنظمة "**(أرمان ماتلار، 2008م، ص 13)**كما يجب التمعن في لفظة الثقافة ومتى ت م استحداثها وما المعاني التي وضعت لها، إذ المؤكد أن المفهوم كان مجهولا في الماضي لدى الإكليروس الذي شن في العصر الوسيط البعيد حرب إبادة على منتوجات الأزمنة القديمة **(Walter BENJAMIN,1971,p485)**، ومنذ أن تم استحداثهما برحت انزلاقات المعاني تزداد وتتشدد، حين يرتقل المفهوم من بيئة ثقافية إلى أخرى.

ظهر مفهوم الثقافة عند الغرب نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، وعرف بكونه الأعقد في اللغة اللاتينية نظرا لتطوره عبر التاريخ وانتقاله بين لغات أوربية متعددة **(عبد الرزاق الدواي، 2013م، ص06)**، بل بات ينزاح ويستعمل لمفا هيم هامة في مجالات ثقافية متعددة وفي نظم فكرية مختلفة بل ومتضاربة أحيانا**(ريموند وليامز، 2007 م، ص94)**. وإذا كان قد بدأ تداوله على أوسع نطاق في البيئة الثقافية الغربية فإن مقتضى الموضوعية يفرض البدء بتعريفه لغة واصطلاحا عند الغرب أولا، ثم في الثقافة العربية الإسلامية بعد ذلك.

يشتق مفهوم (الثقافة) Culture في اللغة الفرنسية القديمة من جذرين لاتينيين أساسيين **(ريموند وليامز، 2007 م، ص . 95)** يتمثلان في لفظتي *Cultura:* و *Colere*، فالأولى تعني حراثة الأرضوزراعتها والعناية بها، كما تشتق من لفظة Colère دلالات ثلاثة **(عبد الر زاق الدواي، 2013م، ص07)** وهي: *culte* التي تدل على العبادة والتقديس، و *colunus*التي تفيد إعمار الأرض والاستيطان، و*Cultura*التي تعني حراثة الأرض زراعتها . وكيفما كانت الجذور الأصلية فالقواميس اللغوية الغربية تكاد تتفق حول معاني التهذيبوالعناية والتقدير الفائق لدرجة العبادة.

عبر المفهوم في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي إلى اللغة الإنجليزية وكان معناه الأساسي يتمثل في رعاية الحيوان والنبات والعناية بالنمو الطبيعي **(ريموند وليامز، 2007 م، ص96)**. ومنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر انتقل المفهوم إلى اللغة الألمانية* **(Emile Tonnelat,1930, pp 64-65)** مقترضا من اللغة الفرنسية وبمعنى واسع، حيث امتد مفهوم العناية بالنمو الطبيعي للحيوان والنبات ليشمل العناية بالتطور الذهني البشري دون أن يُعلم من هم رائدوه الأوائل في هذه اللغة، ولكن المؤكد أن المفكرين الفرنسيين فولتير وفوفنارك قد استخدماه بهذا المعنى في القرن الثامن عشر نفسه.

أما على مستوى الاصطلاح فقد استخدم العالم الإنجليزي إدوارد تايلور في كتابه الثقافة البدائية سنة 1871م -وهو نفس ما أكده كذلك في كتابه الأنثروبولوجيا الصادر سنة 1881م- وقد جاء فيه: "الثقافة هي ذلك الكل الم ركب الكلي الذي يشمل المعرفة والمعتقد والفن والأدب والأخلاق والقانون والعرف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع "**(معن زيادة، 1987، ص34)**. وقد ظل هذا التعريف سائدا باعتباره جامعا مانعا لفترة طويلة من الزمن.

أما الثقافة في اللغة العربية فيعرفها أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة **(أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، والنشر، 1979، صص 382/ 383)** على أنها مشتقة من الجدر الثلاثي (ث_ ق_ ف) ومنها تؤخذ باقي الفروع، ويقال ثقفت القناة إذا أقمت عوجها، وثقفت هذا الكلام من فلان أي أخذته، ورجل ثقف لقف وذلك أن يصيب علم ما يسمعه على استواء، ويقال ثقفت به إذا ظفرت به. كما يعرفه المعجم الوسيط بنفس المعنى اللغوي **(ابراهيم أنيس وآخرون ،2004، ص 98)**، إذ يركز على معنى الفطنة والحذاقة في فعل ثقف، وعلى إدراك الشيء والظفر به وهو المعنى الوارد في الآية : "واقتلوهم حيث ثقفتموهم"**(مصحف القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 191)**وثقَّف الشيء بتضعيف عين الفعل إذا قوم اعوجاجه وسواه، وإذا وقع الفعل على الإنسان أفاد معنى التعليم والتهذيب والتأديب.

والثقافة في اصطلاح العرب وردت في كتابات ابن خلدون باعتبارها لفظة لغوية شائعة ذات اشتقاقات مختلفة وغير مستقرة على المفهوم السائد حاليا، كما أن مضامين تعريفاتها لدى بعض المحدثين العرب لم تسلم من التأثر بالسياق الفكري الغربي الذي أنتجها ، وهي لا تخلو من استعارات واقتباسات أُخذت من المنظور الغربي لمفهوم الثقافة **(معن زيادة، 1987، ص 08)**، لأن جميع المعاني الممكن استخلاصها من المصدر العربي الاشتقاقي لكلمة ثقافة لا تمت بأي صلة مباشرة إلى موضوعات مثل العبادة والاستيطان والحرث والزراعة كما رأيناها في القاموس الغربي؛ يشهد على ذلك المفكر

التنويري العربي سلامة موسى الذي يقر أنه هو من أفشاها إلى الأدب الع ربي الحديث وقد انتحلها من ابن خلدون إذ وجده يستعملها في معنى شبيه بكلمة culture السائدة في الأدب الأوروبي، ويضيف أن شيوع اللفظة الآن على أقلام الكتاب العرب يدل على أننا كنا في حاجة شديدة إليها وأنها سدت معنى كان كامنا في نفوسنا (**سلامة موسى، 1927، ص171**). ثم هو يميز بين الثقافة والحضارة ف فيعتبر الحضارة مادية والثقافة ذهنية، ويمكن للإنسان أن يكون متحضرا دون أن يكون مثقفا والعكس صحيح أيضا، حيث إن الثقافة هي المعارف والعلوم والآداب والفنون يتعلمها الناس ويتثقفون بها وقد تحتويها الكتب ولكنها مع ذلك خاصة بالذهن، أ ما الحضارة فمادية محسوسة في آلة تخترع وبناء يقام ونظام حكومة محسوس يمارس ودين له شعائر ومناسك وعادات ومؤسسات **(سلامة موسى، 1927، ص172)**. وسنأتي إلى تعريف الحضارة فيما بعد بتفصيل.

هكذا أخذت تعريفات الثقافة تتطور – وبخاصة لدى الغرب- متماشية مع تطور الحركة العلمية والفهم المتجدد للثقافة ودورها، ولم يقف الطرح الغربي لمفهوم الثقافة عند حدود المعنى اللغوي أو الاصطلاحي فحسب، بل تجاوز ذلك إلى العديد من التصورات الفكرية الفلسفية والنظريات المرتبطة بها، تلك المستقاة من مجال الفلسفة والفكر التي تناقش مفارقات موضوع الثقافة في براديغمات متقابلة: بين الجانب الستاتيكيالوصفي لها والجانب الديناميكي الذي يجعلها حية متحركة، بين أساسها الطبيعي وامتداداتها الثقافية؛ وفي علاقتها بالإنسان بين الفطرة والاكتساب، وكذا بين السلوك والتجريد وبين المادي والعقلي وبين الواقعيالملموس والميتافيز يقي المجرد. إنها في الحد والجوهر ظاهرة إنسانية صرفة تتجلى في قدرته على الترميز(**معن زيادة، 1987، ص 37**) أي التعبير عن أفكار ومعان وعلاقات في النفس الإنسانية عبر الرمز والفكر . هكذا أصبحت تحظى أيضا باهتماممختلف دارسي العلوم الإنسانية كعلم النفس وعلم الاجتماع والثقافة وغيرها.

بعد تطور العلوم الاجتماعية والثقافية كان من الطبيعي أن يتطور المعنى الاصطلاحي ليتجاوز بعض جوانب النقص في تعريف تايلور للثقافة المتمثلة في طابعه الستاتيكي الوصفي وعموميته وإهماله لديناميكية الفعل الثقافي ولحامل الثقافة (الإنسان) وللمحيط والبيئة الخاصة بمجال الثقافة، ونتيجة ذلك يطالعنا رائد الأنثروبولوجيا الوظيفية البولندي والبريطاني برونسيلافمالينوفسكي ليؤكد أن الثقافة هي المواجهة المتكررة مع تلك القضايا الجذرية والأساسية التي تتم الإجابة عنها عبر مجموعة من الرموز، فتشكل بذلك مركبا كليا متكامل المعنى متماسك الوجود قابلا للحياة **(معن زيادة، 1987، ص35)**. وفي صميم هذه المجتمعات المتحضرة ظهرتالأنثروبولوجيا الثقافية التي كانت تعتبر المختلف ثقافيا عند الغرب في الفرنسية القديمة والوسيطة مرادفا لمفردات : متوحش وسيء وفظ(**أرمان ماتلار، 2008-، ص19**)، كما عملتالأ نثروبولوجيا الجرمية على تكوين تصور ينبذ حاملي الثقافات الدونية باعتبارهم مجرمين ماردين ومنحرفين وخارجين على القانون(**أرمان ماتلار، 2008-، ص20**).

وفي هذا العصر أيضا (منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي الذي يصادف ظهور العلوم الإنسانية) سادت النظرية الانتشاريةالتي تفيد أن الثيار من ثقافة إلى أخرى يمر من الثقافة الأكثر نموا إلى الثقافة الأكثر بدائية ولا يمكنه أن يرجع في الاتجاه المعاكس، وخلفت إيمانا بالإسهام أحادي الجانب من طرف الرحم الغربية الحديثة أو العرق الأبيض في ترقية الثقافات البدوية المصنفة من منظورهم ضمن أسفل سلم الحضارات، الشيء الذي ولد شعورا لديهم بالعجز الإبداعي للثقافات المتخلفة، وهو المبدأ الذي سارت عليه الرحلات الاستكشافية في عهد الامبراطوريات الكبرى الممهدة لحملات الغزو والاستعمار الامبريالي. وفي نفس الحقبة طغى التفسير النشوئي لموضوع الثقافات التي لها أطوار لا بد

من عبورها عبر التاريخ، هي مجمل النظريات التي شحذت العقلية الاستعمارية الغربيةوأخذت تُسيل لعاب ممارسي الشأن العام الإقليمي والدولي وتستأثر باهتمام المؤرخين وعلماء السياسة والاقتصاد. وفي علاقة الثقافة بالسياسة والاقتصاد أصبح المفهوم يتيه ف ي ملامح هاربة وبات يطرح إشكالات عويصة أعقبت فترات الحروب الدموية التي شهدها القرن العشرين وبعدها الحرب الباردة وشبح العولمة الذي بدأ بمجال الاقتصاد والمال ليمتد إلى كل المجالات بما فيها الثقافة نفسها، وفي ظل المنظور الجيوسياسي لإشكالية الثقافة الذي رافق تط ور التكنولوجيا وتقنيات الإعلام والاتصال والتواصل التي نقل البشرية قسرا إلى عوالم الميتافيرس، وفي إبان نظام عالمي جديد أعاد تصور استراتيجيات القوة وأصبح يعتمد صناعة الثقافة وآليات المثاقفة والتثاقف وسيلة لتسيده على الساحة الدولية، كُتب على الثقافة أن تطرح إ شكالات جديدة، تناقش الثقافة بين جمهورية التجارة العالمية المركوتنية وبين القيم الشمولية التي نادت بها فلسفة الأنوار، بين الاستعمارات العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية وبين نضالات الحفاظ على الهوية الثقافية، بين المجال الوطني المغلق وبين الشركات العابرة للحدود والقارات، بين فلسفة الخدمة العامة وبرغماتية اقتصاد السوق والتنافس الحر، بين ثقافة النخبة والثقافة الشعبية، بين الثقافة الراقية والثقافة البربرية الدونية . نتج عن هذه المفارقات تصورين اثنين يؤطران مفهوم الثقافة: تصور ينظر إلى الثقافة بوصفها رصيدا قيميا وروحيا ومعرفيا وسلوكيا، وتصور آخر ينظر إليها باعتبارها سلعة ووسيلة للترف المادي، وهو ما يؤشر على وجود قوى لا متوازنة تتجاذب المفهوم.

بلغ نقاش الثقافة ذروته في أواخر القرن العشرين وفي مستهل الألفية الثالثة مع بداية القرن الواحد والعشرين، خاصة بعد استح داث مفاهيم مرتبطة بها، مثل تنوع الثقافات وتعددها وحوار الحضارات/الثقافات أو صراعها، والعولمة ونهاية التاريخ وغيرها من المفاهيم الموجهة التي تبدو في ظاهرها فكرية صرفة ولكن في باطنها لا تخلو من السياسة.

2. مفهوم الحضارة:

تشتق لفظة civilization الإنجليزية من اللاتينية الوسيطةمن القرن 16 الميلادي *civilizare* التي تعني جعل الأمور الجنائية مدنية، ومنها الفعل *civilize* بمعنى "يحضر" ، واستطرادا من ذلك تم إدراجها في شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي، كما يشتق منها لفظتي *civis* و *citizens* بمعنى مواطن. وبحلول القرن السابع عشر والثامن عشر اكتسب المفهوم معنى "منظم وحسن التربية(**ريموند وليامز، 2007 م، ص65**)إذ أصبح هو الوصف الأنسب لمجتمع منظم *civility* و *civilitas* ويقابله المجتمع البربري والهمجي المتوحش.

أما الحضارة في الاصطلاح فيعرفها العالم الألماني غوستاف كالم (العصر الحديث) تعريفاعلميا على أنها: "العادات والمعلومات والمهارات وتشمل الحياة العامة والخاصة في السلم والحرب والدين والعلم والفن، وتتمثل في نقل تجارب الماضي إلى الجيل الجديد ."(**كلايدكلوهون مغيون ،1964 م، ص71**).وهناك من جعل الحضارة مرادفة للثقافة من أمثال تايلور الذي يورد اللفظين جنبا إلى جنب، ويؤكد ذلك مؤرخ الحضارات الفرنسي فرناند برديلإذ يعتبر اللفظين يعبران عن مركب واحد من الظواهر الاجتماعية، وجه أول مادي ملموس يتعين في المستوى الذي بلغه التقدم العمراني والتكنولوجي عند أمة من الأمم، أو في مجتمع معين أو حقبة محددة، وكذلك في العلاقات الاجتماعية والعادات والمعتقدات وفي المؤسسات وأنظمة الحكم؛ ووجه ثان يتجلى في أنواع الإنتاج الأدبي والفني والفكري والعلمي، ومعالم الرقي الأخلاقي والروحي (**عبد الرزاق الدواي، 2013م، ص 56**).

وباختصار واضح يمكن القول إن للحضارة جوهرا ومظهرا، أما المظهر فهو الإنجازات المادية من

قوة عسكرية واقتصادية ونظم سياسية وأشكال العمران وغيره، في حين أن الجوهر هو المعتقدات والقيم وأنماط السلوك الشائعة.

أصبح مفهوم الحضارة شائعا في منذ أواخر القرن الثامن عشر وبشكل ملحوظ في القرن التاسع عشر، كتب عنهاإدموند بيرك E. Burke في البدايةتعريفا يقرنها بالسلوك الإيجابي، أورده في كتابه Reflections of the french revolution:"سلوكنا manners، حضارتنا وكل الأمور الصالحة التي تتعلق بالسلوك والحضارة "**(ريموند وليامز، 2007 م، ص66)**، ثم كتب عنها ميل في ثلاثينات القرن التاسع عشر في تعريف موسع يش مل "كل أسباب الراحة الجسدية، وتقدم وانتشار المعرفة، وتلاشي الخرافات، ووسائل الاتصال بين الأفرادوتهذيب السلوك وانحسار الحروب والنزاعات الشخصية، والحد بشكل متزايد من هيمنة القوي على الضعيف، والأعمال العظيمة التي أنجزت حول العالم عن طريق تعاون الجماهير**..."(ريموند وليامز، 2007 م، ص67)**

أما الحضارة في اللغة العربية فهي مأخوذة من الحضر أي الإقامة والاستقرار والسكن **(ابراهيم أنيس وآخرون، 2004، ص 98)**، وفي اصطلاحها لا تخرج عن التعريفات الأكاديمية الغربية التي وضعت للمفهوم، فهي تحيل إلى نمط الحياة المدنية، ومقابلة للفظ البداوة**(أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور 1968 م،ص ص196-197)**المرتبط بالتنقل وبنمط حياة الرحل، وبذلك تكون الحضارة مقترنة بأنشطة الزراعة والتجارة والحرف التي تتطلب الاستقرار، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني وتدل على كل مظاهر الرقي العلمي و الفني والأدبي والاجتماعي في الحضر أو المدينة.

أما المفكر التنويري مالك بن نبي فقد عرفها من جوانب مختلفة تاريخية وثقافية ونفسية واجتماعية ووظيفية، ولم يحصرها في التعريف الذي وضع لها من طرف الغربيين لتكون فارقة ومميزة بين عالمين أحدهما غربي متقدم والآخر بدو ي ومتخلف، فهي في أبسط معانيها "ليست كومة من الأشياء المختلفة والمتنوعة، وإنما هي كل منسجم من الأشياء والأفكار ومن العلاقات والمنافع والمسميات، وهي بناء وهندسة وتجسيد لفكرة أو مثل أعلى، ولذلك فلكل حضارة في التاريخ سماتها المميزة"**(فوزية بريون، 2010م، ص205)**

أمام هذه التوصيفات المتباينة يبقى الإشكال الذي يطرح نفسه بإلحاح متمثلا في إمكانية صمود تعريفات المفكرين والباحثين الأكاديميين لمفهوم الحضارة حين يتم تنزيلها إلى حقل الممارسة وحين يتم استعمالها من طرف الساسة، بل حين تختلط بمفاهيم الأيدولوجيا والعولمة ويتسع ص داها مع تطور تكنولوجيا التواصل وتقنيات الاعلام والاتصال،فنجد قادة العالم يتحدثون اليوم عن مفاهيم حوار الثقافات/ الحضارات وصراعاتها بشكل ملتبسبل متناقض أيضا، ويبقى الرهانأمامهم معقودا على اللغة وذكائها وعلى المواربة في تصريف الخطابات لإظهار الالتزام بالحكمة والعقل والتبصر في طرقها أمام الرأي العام العالمي من جهة، وللحفاظ على المصالح الخاصة من جهة أخرى، ولو كلفهم ذلك الانقلاب على مبادئ العقل والقيم والأخلاق النبيلة وإغراق العالم في دوامات الصراعات والحروب والمشاهد الدموية،

III – ذكاء اللغة والخطاب في الانتق ال من حوار الثقافات إلى أطروحة الصراع والهيمنة الثقافية.

إن حاجة المجتمعات إلى ثقافة الحوار خلقتْ مفهوماً جديداً يسمّى حوار الثقافات، وهو مفهوم يشير إلى ضرورة تعزيز الحوار بين ثقافات الشعوب المختلفة وبناء تبادل ثقافي بينها، أي مشاركة الأفكار والآراء الثقافية المتنوعة بين فئات مجتمعية شعبية أو عرقية لفهم الاختلافات بين الثقافات والعمل على تقريب وجهات النظر حول موضوعات شائكة كاللغة والأخلاق والتاريخ والدين والهوية الثقافية وغيرها. ومن شروط ومرتكزات الحوار المشترك هناك الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة واحترام الخصوصيات الثقافية، وذلك لبناء جسور الثقة والتواصل، ومنع نشوب حروب ونزاعات إقليمية أو محلية أو عرقية . وفي ظل شبح العولمة الذي أصبح يخيم على المشهد العالمي، وفي ظل التطور السريع للتقنية، يحق لنا أن نتساءل عن سيرورة وصيرورة حوار الثقافات/ الحضارات بين مختلف الكيانات المجتمعية والقوى الدولية الكبرى، وكيف يتم استغلال ذكاء اللغة والخطاب لإظهار مبادئ الحوار والتسامح والتعايش والسلام وإخفاء نوايا التهديد والصراع والحروب؟

سنناقش ذلك من خلال عنصرين رئيسين، أولهما يتمثل في تسليط الضوء على ذكاء اللغة والخطاب في الانتقال من حوار الثقافات/الحضارات إلى أطروحة الصراع والهيمنة والعنف في ظل التطور السريع لتقنيات التواصل وتكنولوجيا الاعلام والاتصال وحلول شبح العولمة الذي يطال كل ميادين ومجالات الحياة الإنسانية، أما العنصر الثاني فيتجلى في وضع النقاط على لعبة اللغة وخداعها من خلال آليات إيديولوجية تمتلكها مؤسسات السلطة التي تعمل على قلب الحقائق وتشويه الواقع للانتقال أحيانا من بث مفاهيم الحوار والتسليم بالتنوع والتعدد الثقافي إلى أطروحة الاستبداد التي تفضي إلى الصراع والهيمنة والعنف. نناقش المحورين مركزين على فترة ارتفاع وثيرة الصراعات والحروب التي شهدها العالم بقيادة القوى السياسية الكبرى مع تعثر فرص التواصل والسلم خاصة منذ الثورة الصناعية إلى اليوم.

1 ـذكاء اللغة والخطاب بين الحوار الثقافي/ الحضاري ومأزق العولمة:

جسد إعلان مذهب الأخلاقية الحديثة وفلسفة المساواة التي ظهرت بعد الثورة الفرنسية 1789م سعيا واضحا إلى اعتبار المواطنين متساوين في كل شيء وتسميتهم بالمواطنين القوميين والعالميين(**أرمان ماتلار، 2008ـ، ص 30**). وظهر بعدها في الس احة الفكرية مفهوم الكوسموبولتيك*cosmopolitisme **(Nataly Villena Vega, 2009 ; p01)** مع مفكرين أمثال ناتللي فلينا وفركاس لوزا بهدف تحقيق السلم والتعايش والإيجابية في العلاقة مع الغير وهو ما يفضي إلى نفي الهويات والخصوصيات الثقافية وتحقيق المواطن الكوني، وعلى نفس النهج سارت منظمات الطبقة العمالية العالمية والحركة من أجل السلم أو حركات إلغاء العبودية في العالم وغيره**(أرمان ماتلار، 2008ـ، ص35)**.

في نفس الحقبة (القرن 19م) ظهرت فكرة الأدب العالمي مع ماركس وإنجلس في بيان الحزب الشيوعي 1848م، فما يصح على الإنتاج المادي يصح أيضا على الإنتاج الأدبيوالفكري؛ حيث "وصل الأشخاص والمنتوجات والأفكار الى درجة خارقة من الحضارة العالمية.... فالإنسان يعيش الشمولية ويبحث عنها كخير ... هكذا تكونت تدريجيا من كل الأفكار القومية والأثنية فكرة عالمية بفضل الرحلات والمنشورات والمؤتمرات والمعارض"(**أرمانماتلار، 2008ـ، ص34**).

---

*- « Le cosmopolitisme de Vargas Llosa apparaît dans l'intérêt et la sympathie pour l'autre, la négation des identités nationales et finalement la conscience d'une appartenance à la communauté mondiale. »

وكان الرهان أيضا في مجتمع القرن التاسع عشر الصناعي على الشبكات التقنية وعلى الشبكات الاجتماعية لتنسج مكانا متضامنا يحتوي الجميع في ظل المساواة، لذلك لا بأس من التطرق لبداياتها الأولى إلى أن بلغت ذروتها؛ لكن هل استطاعت توحيد الإنسانية فعلا وإسعادها ، أم أنها انقلبت على الإنسان سلبا؟

في العام 1880م عرض ألكسندر جراهام بيل لأول مرة جهازا أطلق عليه اسم الهاتف الضوئي photophone، وهواختراع صاحب ظهورالهاتف الثابت téléphone، لكنه أتاح أول انتقال "لاسلكي"للصوت البشري. وكان يعمل من خلال تحريك شعاع ضوئي. بالطبع هذا "الخيط من أشعة الشمس"هو بالتحديد ما نراه اليوم ممدودا حول العالم،إذ كان اختراع بيل هو أول أداة تستفيد من الضوء باعتباره حاملا لمعلومات معقدة؛ ذلك أن نقل شعاع الشمس عبرمسافات غيرمعقولة لم يكن يتطلب إلا عزل هذا الشعاع؛ واليوم تنظم أشعة بيل البيانات التي تعبرأسفل موجات المحيط، في شكل كابلات ألياف بصرية ناقلة للضوء، تنظم بدورها ذكاء العالم الجمعي وتتيح الاتصال بين بنى تحتية ضخمة للحوسبة تديرنا وتحكمنا جميعا **(جيمس برايدر، 2022م، ص ص 27- 28).**

وفي العام 1884 م ألقى الناقد الفني والمفكر الاجتماعي جون رسكن John Ruskin سلسلة من المحاضرات في معهد لندن بعنوان "سُحب القرن التاسع عشرالمكفهرة" « The Storm Cold of the Nineteenth Century ».

وقدم خلال ليلتي الرابع عشر والثامن عشر من شهر فبراير نظرة عامة حول الطريقة التي صور بها الفنان الكلاسيكي والأوروبي مشاهد السماء والسحب، وطرح في تلك المحاضرات رأيه الذي يقول: (إن السماء كانت تضمن وعاء جديدا من السحب أطلق عليه اسم السحاب المكفهر « Storm-cloud » وأحيانا اسم السحاب الوخيم « Plague-cloud ».(**جيمس برايدر، 2022م، ص ص 25-26).**

لقد أصبح كل شيء متعلق بالشبكة، وأصبحنا لا نستطيع أن نفكر إلا في إطارها ولم يعد أمامنا خيار سوى التفكير عبرها أو فيها؛هكذا أكملت الشبكة الكثيفة من الأسلاك والكابلات المدفونة تحت البحار محاصرة العالم،ليس بالتواصل والشبكات الجامعة فحسب، بل حتى الاقتصاد والأموال والتأمينات والصحافة والأدب والعلوم والفن ومختلف مجالات الثقافة . يتحدث أوتلي ولافونتين عن فكرة دائرية الكوني والمحلي ليؤكدا أننا "نستشعر كلنا ونتأثر ولو أننا في أمكنة متباعدة وفي بلدان مترامية بالأحداث التي تجري خارج حدودنا"*.

***-** «Tous nous sommes influencés dorénavantpar la large vie qui enveloppe le globe terrestre toutentier. »

هذه المنظومة العالمية للكابلات تحت البحرية التي تقف وراء الاحتكار شبه الكامل لرأس الشبكة أصبحت اليوم مملوكة من طرف القوى العالمية المتمثلة في الشرك ات العابرة للقارات ذات الشبق المهيمن libido-dominandi **(أرمان ماتلار، 2008-، ص39)**، فماذا عساها تفعل بمصير البشرية وهي تمسك بزمام كل القطاعات الحيوية التي تهم الإنسان، وتتوغل في كل مجالات الحياة العامة والخاصة للأفراد والجماعات؟

لقد أضحى ا لابتكار التقني سلاح ا حاسما للغزو الثقافي، وقد استوعب العالم الغربي فكرة السوسيولوجيميشال كروزييه(سنة1951) الذي اعتبر التواصل مفهوما أساسيا للهندسة الاجتماعية؛ ومع تطور تقنيات التواصل والإعلام وأشكاله ووسائله التكنولوجية وتعدد أساليبه ووسائطه المادية والافتراضية، تمازجتالمقار بة الثقافية مع المقاربة الإعلامية وأدت إلى قفزة نوعية في المجتمعات الغربية على مستوى صناعة الرأي العام والهندسة الجديدة للإجماع خاصة مع والتر ليبمان وهارولد لاسويل 1922م (من رواد سوسيولوجيا الاعلام وصناعة الرأي العام **(أرمان ماتلار، 2008-، ص39)**. وبحلول سنة 1944 وقبل نهاية الحرب العالمية الثانية أقر الكونغرس الأمريكي مبدأ التدفق الحر للمعلومة والدوران الحر للأفكار بالكلمة وبالصورة حتى أصبحت عقيدة رسمية لهذه الدول الامبريالية.

إنها الامبريالية الثقافية التي يعرفها المفكر هربر تشيلر Herbert SHILLER (رائد الاقتصاد السياسي للتواصل والثقافة) بكونها مجمل المسارات التي بموجبها يدخل المجتمع في صميم نظام عالمي حديث تنجر طبقته القيادية بالإغواء أوالضغط وبالقوة أو الفساد إلى تنميط المؤسسات الاجتماعية لكي تتوافق مع بنى وقيم مركز النظام السائد **(أرمان ماتلار، 2008-، ص56)**. وهي إذ تنطلق من المركزية الغربية فهي تعتمد فكرة أساسية كما يقول المفكر Vittorio LANTERNARI مفادها أن "الشعوب الأخرى إما أن تضع نفسها على صفحة الحضارة الغربية وإما أن تكون غير جديرة بالاعتبار ككيانات قابلة للاحترام "**(أرمان ماتلار، 2008-، ص16)**، مما يعني إعما ل طريقة المحو الثقافي للخصوصيات الثقافية والهويات المميزة أو عولمتها (**Bourdiau et Wacquante,2000, p06)**، هكذا آلت الصيرورة الثقافية لدى الغرب إلى فخ السلعنة وإلى قياسها بقيمتها السوقية **(أرمان ماتلار، 2008-، ص76)**، صناعة ثقافية موجهة الأهداف وثقافة صناعية تحمل سلسلة أغراض، منها علامة التصنيع والتسلسل والتنميط والقولبة وتقسيم العمل وفكرة التيلورية، وإلى هذا الحد تأكدت فكرة تمييع الثقافة **(أرمان ماتلار، 2008-، ص81)**. بعبارة أخرى فالإمبريالية الثقافية تسعى إلى تشبيك علاقات غير متكافئة تذكي رؤية مادية ونظامية للثقافة وترسخ تمثلات لنظام العالم بوصفها الرؤية الوحيدة الممكنة العقلانية والمعقولة، وتروج لنموذج وحيد للحداثة في كل المجالات التقنية واللغوية والاقتصادية والسياسية والحقوقية والتربوية والدينية وغيرها في إطار العلاقات النيوكولونيالية مع الشعوب الأخرى كما جاء على لسان المفكر العربي التنويري إدوارد سعيد.

إذا كان هذا حال الحتمية التقنية التي أدت إلى عولمة ثقافية بلبوس إمبريالي كولونيالي، فكيف يمكننا فهم الشعارات والمبادئ المثالية التي تسعى الآلة الإعلامية الغربية إلى نشرها وغرسها في وجدان الرأي العام العالمي، وتدعي ال دول الكبرى والتكتلات الإقليمية إظهارها في الواجهة والدفاع عنها وحمايتها من قبيل تشجيع حوار الثقافات والدفاع عن الهويات الثقافية وحقوق الإنسان والتعاون الدولي والتنمية المستدامة والتضامن بين شعوب العالم، تدعي ذلك من خلال تأسيس منظومة مؤسسات دولية كتلك المنبثقة عن الأمم المتحدة سنة 1945م بأجهزتها المتمثلة في الجمعية العامة ومجلس الأمن

والمجلس الاقتصادي والاجتماعي ومجلس الوصاية ومحكمة العدل الدولية والأمانة العامة للأمم المتحدة، وتلك المنبثقة عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (UNESCO)والتي تتمثل رسالتها الأساسية في إرساء السلام واستثباب الأمن في العالم من خلال التعاون الدولي في مجال التربية والعلوم والثقافة وإحلال الاحترام العالمي للعدالة ولسيادة القانون، ناهيكم عن مختلف الهيئات المنبثقة عن المنظمة ذاتها في مجال الحريات الأساسية وحقوق الإنسان المن شأة بموجب مواثيق ومعاهدات؛إنهامؤسسات دولية بقدر ما تبدي مبادئ فضلى لتحقيق الحوار والسلم والتعايش والاستقرار فهي تمنح الغطاء والشرعية لمختلف الصراعات والحروب الدموية التي مايزال العالم يرزخ تحت عنفها وبطشها، وبقدر ما تتسلح بتكنولوجيا التواصل وتقنيات الإعلام والاتصال لإراحة الإنسان، فقد جعلته أيضا يعاني من أساور مضاعفة،فهو من جهة أولى أسير التقنية وعوالم الميتافيرس التي تطوق وجوده وتقلص من حريته بل وتتحكم في أذواقه ورغباته، ومن جهة ثانية هو أسير شبح العولمةبجميع تلاوينها ولعل أخطرها عولمة الإعلام والثقافة التي تحدد وعيه وتوجهه وتصنع ثقافتهوتوحد أشكال القول والقراءة بين جميع بني البشر، وبالتالي تتحكمفي مواقفهم من مختلف الأحداث البارزة والمسيطرة على العالم، كل ذلك باستعمال خدع اللغة وحيلها واللعب بالمصطلحات والألفاظ، فتقنع الرأي العام العالمي على أن الحرب على العراق وأفغانستان ليست حربا على الإسلام، بل هي حرب على الإرهاب والتطرف؛ وتبدع بالقوة والسلطة معاني قادحة لمفاهيم **(فريديريك نتشه، ص 130)*** الأصولية والرجعية والظلامية التي تؤدي إلى صناعة الإسلاموفوبيا؛ كما تقنع العالم أيضا أن المجازر التي ترتكب في حق الشعب الفلسطيني الأعزل ليست بجرائم حرب بل هي مجرد دفاع الكيان اليهودي على أمنه القومي، كما أن اغتصاب الأراضي الفسطينية التاريخية ليس استعمارا بل هو تنزيل لوعد بلفور وتحقيق للدولة القومية اليهودية وهكذا دواليك في كل الأحداث العالمية المشابهة.

إن استخدام ذكاء اللغة والخطاب في تزييف وقلب الحقائق حول مختلف الأحداث في العالم ترمي أول ما ترمي إليه خدمة مصالح القوى العاتية في العالم لتستمر في توسيع نفوذها وبسط سيطرتها على العالم وتضاعف من نهب خيرات البلدان الناميةوتغنم ثرواتها وأموالها طوعا وكرها،حتى تضمن لنفسها اليقاء في م وقع الريادة وبسط السيادة على كل أطراف المعمور، إنها تعرية وكشف لخلفيات الفكر الفلسفي السياسي الغربي، تلك التي تنطلق منها وبها تؤطر طبيعة علاقة الذات الغربية مع الآخر(**جون بول سارتر، 1996، ص394**)* المختلف ثقافيا، وتوضح بجلاء ما يحكم منظورها من دسائس في رصدها لمفاهيم الثقافة والحضارة التي انطلقنا من تعريفها لدى الغرب فيبداية البحث، والتي تؤكد بالملموس أن هذه الحضارة الغربية تؤمن بمركزيتها وتصنف كل من يخالف ثقافتها في

*- "اللغة فعل من أفعال السلطة".

موقع الهامش، كما تؤمن بتراتبية ثقافات المجتمعات عبر العالم، إذ هي رمز لمعاني التقدم والرقي والازدهار والحداثة ومادونها داخل في دائرة البداوة والتخلف والهمجية والشر ...تلك هي الحقيقة التي صدع بها كثير من المفكرين الغربيين ومنهم على سبيل المثال صامويل هنتنجتون الذي كتب سنة 1996م خطاب صراع الحضارات في مؤلفه الذي حمل هذا العنوان، تم كتب موت الأيديولوجيات والأفكار القومية، وأكد على أن الثقافة تلعب دورا مركزيا وخاصة في بعدها الديني ليتسع الشرخ بين سبعة أو ثمانية كيانات ثقافية كبرى وهي الغربية والإسلامية واليابان ية والصينية والهندوسية والكونفوشيوسية والسلافية-الأرثوذكسية وأمريكا اللاتينية وربما الأفريقية كذلك، لكن ما يفتأ يؤكد على أن الحضارات البارزة على خط النزاعات والتي تهدد الغرب بطموحاتها العالمية تتجلى في الكونفوشيوسية والإسلامية فقط، فالأولى متمسكة بأسباب القوة الاقتصادية فعلا، والأخرى لها أسباب قوة لكنها خامدة ويمكن في أي وقت أن تنبعث من جديد(**أرمان ماتلار، 2008-، ص191**).

2 -ذكاء اللغة والخطاب بين الحوار الثقافي/ الحضاري ومأزق الإيديولوجيا:

الإيديولوجيا من منظور الفلسفة النقديةهي حاجز للفكر وشراك وقع فيه الإنسان منذ ظهور المجتمع ودخول الإنسان في علاقات اجتماعية خصوصا تلك التي تربط بين الآمرين والمطيعين(**فريديريك نتشه، 1967، ص240**). والإيديولوجية وعي سطحي لا ترقى في مدارج الفكر ولا إلى أعماقه، تحدد الفلسفة التأويلية لها وظائف أساسية ثلاثة (**بول ريكور، 1986م، ص ص 419-426**)، تتجلى في تشويه الواقع وتزييف الحقائق ثم السعي إلى تبريرها حتى تصبح أفكار الطبقة المسيطرة أو الحاكمة هي المهيمنة على عقول الجماهير وبالتالي يسهل اندماجهم في حياة الجماعة وهذه الأخيرة غاية الوظائف. هكذا كانت الممارسات السياسية منذ ولادة مفهوم الدولة فديدنها استخدام الإيديولوجيا، ومن خلالها يسعى الحكام إلى تسويغ أفكارهم ولو حدا بهم الأمر إلى نشر الأوهام وقلب الحقائق وتزييفها عن طريق لغة السلطة وسلطة اللغة.

وفيما يلي نحصر حديثنا عن خداع اللغة لتصريف أطماع التوسعات الكولونيالية الإمبريالية التي تستطبنها القوى الغربية وتخفيها وتحاول تبرير أفكار العنف والصراع والحروب من خلال آليات الإيديولوجيا وتحت غطاء شعارات زائفة تضعها في واجهة الإعلام تتجلى في تهدئة الأوضاع لدى

---

*- "الآخرون هم الجحيم"

الشعوب غير المستقرة ونقل الحضارة إليهم وإخراجهم من الهمجية والتخلف، تماما كما كانتصورهم ومنظورهم لمفهوم الحضارة الذي أوردناه سلفا،وسنركز كلامنا على الحقبة ما بعد النهضة إلى الآن.
ظهر مفهوم الامبريالية إبان عصر ما بعد النهضة، عصر الثورة الصناعية الأولى التي بل غت ذروتها في بريطانيا في عهد الملكة فيكتوريا ثم امتدت إلى أوربا والولايات المتحدة الامريكية، وإبان الانقضاض على القارة السوداء كانت الأهداف المعلنة تتجلى في تصدير الحِكمة والنظام إلى الشعوب المتخلفة لكن الأهدافالخفية هي التي ستظهر في العقد الأول من القرن ا لعشرين تتجلى في السعي نحو هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية(**أرمان ماتلار، 2008-، ص39**)، وهو ما واصلت أمريكا العمل عليه حيث تنامت عقيدة جديدة للتوسع الامبريالي روجت لها شعارات مغرية تتجلى في تحقيق الحلم الأمريكي أوما يسمى "أمركة العالم" كإشارة إلى حياة مثالية وإلى أنموذج حضاري جديد (**أرمان ماتلار، 2008-، ص40**)، لكن الواقع والدافع الحقيقي هو توسيع النفوذ عبر كل دول العالم، حيث شن تيودور روزفلت سنة 1901م هجوما على كوبا وبورتوريكو والفلبين، واستطاع ضم كال يفورنيا وأريزونا وغير ذلك من الأ راضي للولايات المتحدة الأمريكية لتوسيع المشروع الامبريالي للولايات المتحدة الأمريكية.
وفي سنة 1914م بدأت الحرب العالمية الأولى وكان السبب المباشر والمعلن هو حادثة اغتيال ولي عهد النمسا فرانز فرديناند مع زوجته من قبل طالب صربي يُدعى غافريلو برينسيب في 28 يونيو/حزيران عام 1914 أثناء زيارتهما لسراييفو، لكن الدارسين يرصدون جملة من الأسباب العميقة وغير المباشرة، من أبرزها توتر العلاقات الدولية في مطلع القرن العشرين بسبب توالي الأزمات إثر حروب البلقان الأولى والثانيةوتصارع الدول الأوروبية للسيطرة على منطقة البقلان وطرد الخلافة العثمانية منها، هذا بالإضافة إلى الصراع بين فرنسا وألمانيا وإيطاليا على النفوذ في شمال أفريقيا وطغيان الأهداف التوسعية، فضلا عن دخول الدول الإمبريالية في تحالفات سياسية وعسكرية أدت إلى سباق التسلح بين الدول المتنافسة.
وبعدها سنة 1917 أصدر جيمس آرثر بلفور تصريحا مكتو با وجهه باسم الحكومة البريطانية إلى اللورد ليونيل والتر روتشيلد يتعهد فيه بإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، سماه وعد بلفور وكان ذلك بدوافع إنسانية معلنة ولكن على حساب استعمار شعب عربي مسلم مايزال يعاني من الاضطهاد والحروب الدموية إلى اليوم، وفي العمقوكما تؤكد بعض الصحف البريطانية حينها، فقد كان الوعد بنية حماية مصالح بريطانيا ومد نفوذها في المنطقة، ناهيكم على أنه لم ينطق ولو بكلمة واحدة حول حقوق الطوائف السابقة هناك في فلسطين (**أرمان ماتلار، 2008-، ص43**)؛ ونفس الشيءتماما كما كانت الحروب الصليبية الأولى في القرن الحادي عشر الميلادي تحت غطاء ديني وتحت مسمى الحروب المقدسة وبأمر من بابا الكنيسة (كما يقول المؤرخ اللاتيني وليم الصوري الذي توفي سنة 1185م)، لكن الأهداف الخفية المضمرة هي ما أورده كثير من المؤرخين من أمثال المؤرخ الأميركي "توماس مادن" في كتابه "تاريخ موجز للحملات الصليبية" أن تلك الحملات الصليبية بعيدة عن كونها حروباً دينية ولم يكن الغرض منها توسيع نطاق أراضي العالم الديني المسيحي، بل هي ردة فعل ولو في وقت متأخر نوعاً ما، أي ردّة فعل على الغزوات الإسلامية في إسبانيا وجنوب إيطاليا وفرنسا .
ويعطينا المؤرخ الإنجليزي "ستيفان رنسيمان" في موسوعته عن الحروب الصليبية أبعادا أكثر قوة من الأبعاد الدينية للحروب ويستحضر بذلك عبارات البابا في مؤتمر كليرمونت : «إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، بل هي فردوس المباهج".

وفي سنة 1939م اندلعت الحرب العالمية الثاني ة وكانت الفاشيّة الإيطاليّة في عشرينيات القرن الماضي، والعسكرة اليابانية وغزو الصين في ثلاثينيّات القرن العشرين، وكانت النازية الألمانيةوسياستها الخارجية العدوانيّة، هي كلها من ضمن الأسباب . أما السبب المباشر فهو قيام ألمانيا بغزو بولندا في 1 سبتمبر 1939م، إضافةً إلى إعلان بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا في 3 سبتمبر 1939م. لكن الأسباب الخفية كانت تتجلى في تنافس القوى الدولية العظمى لتوسيع نفوذها واقتسام المستعمرات، انتهت بصعود معسكرين دوليين قويين هما معسكر الشرق ومعسكر الغرب الذين سينتقلان من الحرب العسكرية إلى الحرب الباردة.

أما في سنة 1990 فقد اندلعت حرب الخليج بقيادة أمريكا وبريطانيا ضد العراق وخارج إجماع مجلس الأمن، وكانت الأهداف المعلنة آنذاك هي تجريد النظام العراقي من أسلحة الدمار الشامل وتخلص دول الخليج والشرق الأوسط من الخطر الذي يداهمهم، إلا أن الأ هداف العميقة كانت تتمثل في إبادة أعرق حضارات العالم في العراق وطمس معالمها حتى لا تقوم عليها الحضارة العربية الإسلامية من جديد، ناهيكم على إيجاد منطقة نفوذ لمراقبة المحيط الإقليمي ونهب الخيرات والثروات الطبيعة بهذه الدولة (اتفاقية النفط مقابل الغداء أنموذجا).

وفي سنة 2001م ومع أحداث 11 شرتنبر تم شن الحرب على دولة أفغانستان من طرف الولايات المتحدة الامريكية، وبرّرت كثير من القوى الغربيّة ذلك بخطابات سياسيًّة وإعلاميًّة تروج لمفاهيم "إسلاموفوبيا"(**أرمانماتلار، 2008، ص 44**)"الإرهاب" " التطرف" استطاعت الآلة الإعلا مية العالمية أن تصل بها إلى وجدان كل الأمم والشعوب، لكن الحقيقة غير المصرح بها هي محاربة الحضارة الإسلامية التي توجد في حالة كمون فقط وتملك من الأسباب ما يمكنها ما يجعلها منافسة للغرب.

وبناء على كل ما سبق، يبدو أن الأسباب المباشرة والمعلنة وراء الصراعات و الحروب ما هي إلا تبريرات للايديولوجية الرأسمالية للقوى العالمية الامبريالية ذات الأهداف التوسعية الكولونيالية التي تسعى إلى الحفاظ عن قوتها وعنفوانها واستحكام قبضتها على بقية العالم مقابل اختلاق أسباب الصراعات والحروب ضد الحضارات الصاعدة والمنافسة، أما التذرع بالأسباب الدينية أو الخلافات السياسية فهي بمثابة أوهام ظل يروجها رجال الكنيسة والإقطاع في أوروبا بالقرن 11 الميلادي، وتغنت بها الرأسماليات الغربية والشرقية بالقرن 21.

وحصيلة القول، فإن الصراع كان ولا يزال بمجمله وجوديا وحضاريا، اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا بين المستغِلين والمستغَلين، وكل ما عداه فهو ذَرٌّ للرماد في العيون . وهو ما أثار بصيرة بعض المفكرين الغرب أنفسهم من أمثال الفيلسوف الألماني أوسولدشبنغلرإذ تنبأ بإفلاس الحضارة الغربية قائلا : "نحن الحضارات، نعرف الآن أننا حضارات فانية"**(Oswald Spengler, 1923, p11)**

خاتمة: آفاق وفرص حوار الثقافات وتحقيق التعايش والسلم.

علاقة بموضوعنا المتعلق باستثمار ذكاء اللغة والخطاب في الانتقال من حوار الثقافات إلى فكرة الصراع والهيمنة الثقافية، وتأكيدا لأطروحتنا في البحث عن آفاق وفرص حوار الثقافات لتحقيق التعايش والسلم، ومن خلال تحليلنا ومناقشتنا للموضوع ورصدنا لإخفاقات الحوار في تحقيق التعايش والسلم من خلال مأزقين اثنين هما: مأزق الإيديولوجيا ومأزق العولمة، يمكننا الخلوص إلى ما يلي:

- لقد أخفق العقل الغربي حين انطلق منذ فجر العصر العلمي والتقني الحديث فاتحا ومستك شفا للكون رافعا شعار التملك والتحكم الذي نادى به ديكارت، فتطويرهالخارق للتقنية والإفراط في استخدامها والتحكم المفرط في الطبيعة انقلب سلبا على الإنسان، وأصبح يعيش تهديدات وجودية حقيقة وفورية،

أوضحها احترار مناخ الكوكب الأرضي وفساد أنظمته البيئية وتساقط الأم طار الحمضية وانتشار العواصف والأعاصير وغيرها من الكوارث الطبيعية، كلها أدلة أكدت إخفاق العلوم وآفاق التنبؤ المبتورة... وهي أمور مترابطة، فجميعها إخفاقات في التفكير والتعبير **(جيمس برايدل، 2022م، ص ص 23-24).**

لم تقف النكسات عند هذا الحد، بل إن التقنية مهدت الطريق أمام اكتساح شبح العولمة وغدت العولمة الثقافية تنذر بموت الإنسان حين سعت إلى إنتاج مواطن كوني شمولي، مسلوب العقل والإرادة، يغرق في الاستهلاك دون تفكير ويلازم عبادات ثلاثة **(أرمان ماتلار، 2008-، ص 211)**: عبادة الحاضر والعيش في دوامة المستجدات، عبادة الإعلام واستهلاك المعلومة، عبادة الثقافة التقنية الكونية أكثر من الثقافات الرمزية المحلية؛ مواطن شمولي دون مؤسسات ولا وساطة، ينحسر على المحلي وينسلخ عن هويته وخصوصياته الثقافية **(أرمان ماتلار، 2008-، ص158)**.

ويبقى الحل الوحيد هو الاقتصاد في استهلاك ثقافة التقنية و الرجوع إلى التقليد والاهتمام بحضارة الرمز والكلمة، لأن الثقافة الحقيقية هي دائما ثقافة رمزية وتقليدية متجذرة في تاريخ عميق وفي أمكنة محددة**(جلبير هوتوا، 2002، ص 54)**.

- الحفاظ على التنوع والتعدد الثقافي كما تشكل بصورة طبيعية بين المجتمعات البشرية، والحفاظ على الخصوصيات الثقافية للمجتمعات البشرية، وتنشئة الأجيال الصاعدة على التشبث بالهوية والخصوصيات الثقافية وبالقيم الثقافية المحلية والانفتاح على الكونية دون انصهار أو انسياق، كلها أمور أضحت ضرورية للانفلات من شبح العولمة بكل تلاوينهاوإطلاق عنان التفكير وإحياء المواطن من جديد، مواطن قادر على تقييم الأحداث التي يشهدها محليا وعالميا واتخاذ ردود الأفعال المناسبة تجاهها دون وصاية أو تحكم أو توجيه، مواطن يرقى لفك ألغاز لغة السلطة وسلطة اللغة ويعيها تمام الوعي حتى لا تنطلي عليه خدع الإيديولوجيا وأوهامها وشراك العولمة وعقالها. ولأمثال هؤلاء يوجه مالك بن نبي خطابه قائلا : " إنني لا اكتب هذه المذكرات من أجل أولئك المثقفين (يقصد المثقفين المزيفين الموالين للاستعمار)، ولكن أكتبها للشعب عندما يستطيع قراءة تاريخه الصحيح، أي عندما تنقضي تلك الخرافات التي تعرض أحيانا أفلاما كاذبة، والتي سيكون مصيرها في صندوق المهملات مع مخلفات العهد الاستعماري**"(مالك بن نبي، 1984م، ص288).**

- صناعة التاريخ لا تتم إلا بأفكار أصيلة تستجيب لسائر المشكلات على الصعيد الأخلاقي وميدان الأفكار الفعالة، لتجابه الإخفاقات التي خلفها العصر التقني والعولمة إذ "لا نستطيع أن نصنع التاريخ بتقليد خطأ الآخرين في سائر الدروب التي طرقوها، بل بأن نفتح دروبا جديدة**"(مالك بن نبي، 1988م ص162)**ونعيد النظر في فهمنا للعالم وفي مواقفنا تجاه التقنية مثلما كانت مطارق ثور (ثور هو واحد من أقوى الآلهة وأكثرها شعبية في الأساطيرالنرويجية) تدق في الأرض لتثير الرعد والبرق وتحمي من غضب الآلهة وكان يعتقد أنها أجسام سحرية هوت من السماء بسبب ما بينها وبين الصلبان من تشابه، وحين اندثرت الأغراض الأصلية منها صارت قادرة على الاضطلاع بدلالة رمزية جديدة، وهكذا، ينبغي علينا أن نعيد أسر مطارقنا – وجميع أدواتنا – كي تغدوأقل شبها بمطرقة النجار، وأكثرشبها بمطرقة ثوروبالأحجار الرعدية **(جيمس برايدر، 2022م، ص 22).**

المراجع المعتمدة باللغة العربية:

- مصحف القرآن الكريم.

1. ابن منظو ر؛ محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الانصاري الرويفعي الإفريقي، لسانالعرب،بيروت: دارصادر/داربيروت،لبنان 1968 م،المجلد4 .
2. أبو الحسين؛ أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، معجم مقاييس اللغة، ترجمة عبد السلام محمد هارون، ج1، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر 1979 لبنان.
3. أنيس ابراهيم وآخرون. المعجم الوسيط، إصدارات مجمع اللغة العربية، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر2004.
4. برايدر جيمس، عصر مظلم جديد، التقنية والمعرفة ونهاية المستقبل، ترجمة مجدي عبد المجيد خاطر، مجلة عالم المعرفة، العدد 497، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، غشت 2022م.
5. بريون فوزية، مالك بن نبي، عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دمشق : دار الفكر، سوريا 2010م.
6. بن نبي مالك، مذكرات شاهد للقرن، الطبعة الثانية، بيروت : دار الفكر المعاصر : لبنان. / دمشق: دار الفكر، سوريا 1984م.
7. بن نبي مالك، مشكلات الحضارة، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر، لبنان/ دمشق: دار الفكر سوريا، 1988م.
8. الدواي عبد الرزاق، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، الطبعة الأولى، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر2013م.
9. زيادة معن، معالم على طريق تحديث العقل العربي، مجلة عالم المعرفة، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب، عدد 115، يوليوز 1987.
10. سارتر جون بول، الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، بيروت: منشورات دار الآداب 1996.
11. سلامة موسى، الثقافة والحضارة، ، مجلة الهلال، عدد02، مصر بتاريخ 01 فبراير1927م.
12. عثمان نعمان، الكلمات المفاتيح، ريموند وليامز، ترجمة: المركز الثقافي العربي، ط 1 ، 2007 م.
13. ماتلار أرمان، التنوع الثقافي وا لعولمة، ترجمة خليل أحمد خليل، الطبعة الأولى، بيروت : دار الفارابي، لبنان 2008م.
14. مغيونكلايدكلوكهون، الإنسان في المرآة . ترجمة شاكر مصطفى سليم، بغداد- نيويورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، العراق.1964م,
15. نيتشه فريديريك، جينا لوجيا الأخلاق، (الترجمة الفرنسية أنجيل كرامرماريتي)، سلسلة 18/10.
16. هوتوا جلبير، التقنية- علم، ضمن الفلسفة والأخلاقيات، ج: 11، أوديل جاكوب 2002.

المراجع المعتمدة باللغات الأجنبية:

1. LAFONTAINEH.et OTLET P.,1912, « la vie international et l'efforts pour son organisation » revue mensuelle des idées, des faits et des organismes internationaux, Bruxelles, Tome 1.
2. SHILLERH.,1976, Communication and cultural domination, New York, Sharpe.
3. SPENGLER Oswald, 1923, Le déclin de l'occident, esquisse d'une morphologie de l'histoire universelle, Ed. Gallimard.

4. TONNELAT Emile, Kultur, 1930, Histoire du mot, évolution du sens, in : Lucien Febvre et al, Civilisation : le mot et l'idée, Paris, la Renaissance du Livre,
5. -TYLOREdward Burnett, Primitive Culture, Vol. 1 of 2 (Classic Reprint): Researches into the Development of Mythology, Philosophy, Religion, Art, and Custom Paperback – August 24, 2018.
6. VILLENA VEGA Nataly, 2009, Le cosmopolitisme littéraire de Vargas Llosa, , Éditions et Presses universitaires de Reims.
7. WALTER Benjamin,1971, L'œuvre d'art à l'ère de sa reproductibilité technique, L'homme ; le langage et la culture, Paris, Denoël.

شروط النشر بمجلة ارتقاء للدراسات النفسية والاجتماعية:

ترحب مجلة ارتقاء بإسهامات الكتاب والباحثين في تخصّصي علم النفس وعلم الاجتماع بكلّ فروعهما، والتخصصات القريبة والمتقاطعة معهما.

يشترط في المقالات المرسلة الشروط التالية:

- الأصالة والجِدَّة.
- الإيجاز والسلامة اللغوية.
- التزام قواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المراجع وذكر البيانات كاملة مع الموضوعية والمنهجية العلمية.
- عدم الإساءة للأشخاص والانتماءات والمؤسسات.
- تقبل الأبحاث والدراسات بإحدى اللغات الثلاثة: العربية والفرنسية والإنجليزية.
- للمجلة حق إعادة نشر المواد المنشورة منفصلة أو ضمن كتاب بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة مغايرة دونما حاجة لاستئذان صاحبها.
- تحتوي الصّفحة الأولى من البحث على عنوان البحث، والاسم الكامل للباحث، والجامعة التي ينتمي اليها باللّغة العربيّة واللّغة الانجليزيّة.
- تستهل الدراسة بملخّص في حدود 150 كلمة بلغة الدراسة، وبملخص آخر بلغة أجنبيّة يختارها الباحث (الفرنسية أو الإنجليزية)، ثم خمس كلمات مفتاحية بعد كلّ ملخّص.
- الاحترام التام للقالب الفني للمجلة (Template) الذي يحدّد بدقة الخطوط والأحجام والتهميش وباقي التفاصيل الفنية المعمول بها في المجلة، ولا تقبل نهائيا البحوث التي لا تلتزم بذلك.
- تعرض الأبحاث المرسلة على لجنة تحكيم، ولهذه الأخيرة صلاحية اتخاذ قرار إمكانية نشر البحث بالمجلة من عدمه، وعند حاجة البحث أو الدراسة إلى بعض التعديلات الجوهرية أو الشكلية تقوم إدارة المجلة بإعادة إرساله إلى الباحث مشفوعا بالملاحظات ليتسنى لها نشره.
- لا يحق لأيّ باحث المطالبة بعدم نشر مقاله بعد إرساله للمجلة.
- تحتفظ المجلة بحقها الكامل في متابعة أية جهة (أشخاص أو مؤسسات) تقوم بإعادة نشر مقالات المجلة دون العودة لها وأخذ إذن منها.
- أيّ باحث يثبت في حقه السرقة العلمية سيمنع بتاتا من النشر في المجلة.
- يمكن أن تخضع المواد المرسلة لعمليات إعادة التحرير والصياغة إن تطلب الأمر ذلك.

نلفت أنظار الكتاب والباحثين إلى ضرورة إرسال إسهاماتهم مرفقة بسير ذاتية مختصرة عبر البريد الإلكتروني للمجلة وهو:

revue.irtikae.psy.socio@gmail.com

أو إلى البريد الإلكتروني الخاص بمدير النشر: yassineelamiri3@gmail.com

للاستفسار والتواصل:

WHATTSAPP: (00212)- 0679733990

الآراء الواردة في المقالات تعبّر عن وجهة نظر كتّابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة أو آراء القائمين عليها.